الإسرائيليات
وتطورها في كتب التفسير

الأستاذ الدكتور

البدرى عاطف على أبو حربة

الأستاذ بقسم التفسير ووكيل كلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

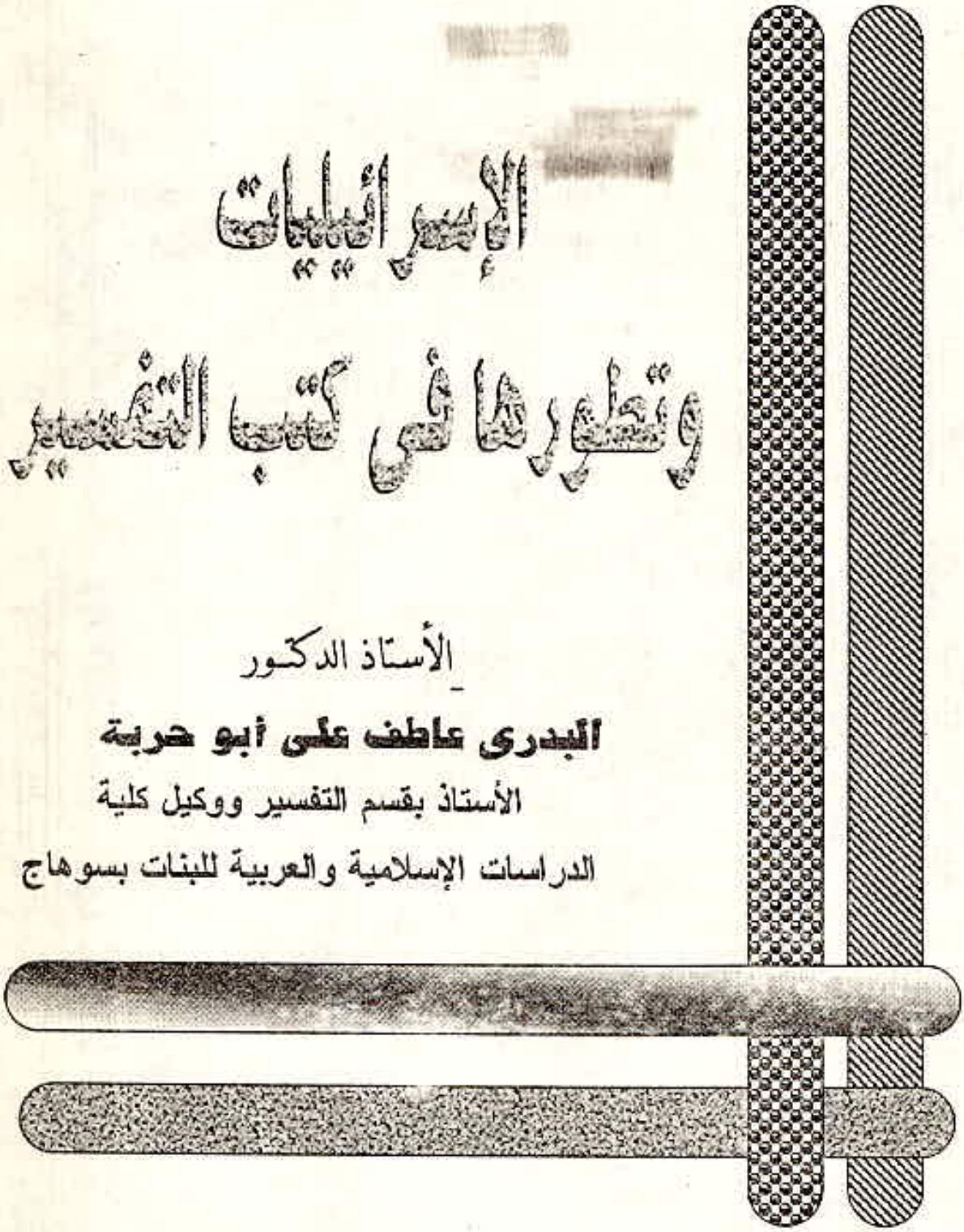

الإسرائيليات وتطورها فى كتب التفسير

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ـ سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فهذا البحث حول قضية الإسرائيليات وتطورها فى كتب التفسير

موجز البحث

فى هذا البحث وقفه تأملية فى مبدأ دخول الإسرائيليات فى التفسير ، نستكشف منها وجه الحق فى فهم الصحابة حول أخذهم عن أهل الكتاب ، ولنرد على ما أثاره المستشرقون ومن سار على دربهم من شبهات حول هذا المسلك ، ولنتبين بصفة عامة موقف المفسرين من رواية الإسرائيليات فى كتبهم ، والمنهج السديد الذى ينبغى أن يسير عليه من يفسر كلام الله تعالى .

خطـــوات البحـــث

هذا البحث تتجلى خطواته فـــى الآتـــى :-

أولا : تمـــهيد فـــى بيـــان : المـــراد بَالإســـــرائيليات ومدى الصلة بينها وبين تفسير القـــرآن الكريـــم .

ثانيا : مبدأ دخول الإسرائيليات فى التفســـــير وتطـــوره .

ثالثـــا : أثـــر هـــذه الإســـرائيليات فـــى التفســـير ومـــــدى خطورتها على عقائد المسلمين وقدســـية الإســـلام .

رابعا : أقسام الإسرائيليات وحكـــم روايتـــها .

خامسا : موقف المفسرين مـــن الإســـرائيليات قلـــة وكـــثرة وتعقيبا وتمحيصـــا ، والمنـــهج الســـديد الـــذى يجـــب أن يسـلكه المفسر تجاه كتاب الله تعـــالى .

أولا ، تمهيد فى بيان المراد بالإسرائيليات والصلة بينها وبين تفسير القرآن الكريم

الإسرائيليات : جمع إسرائيلية ، نسبة إلى بنى إسرائيل ، وإسرائيل هو : يعقوب عليه السلام ـ أى عبد الله ، وبنو إسرائيل ، هم : أبناء يعقوب ، ومن تناسلوا منهم فيما بعد ، إلى عهد موسى ، ومن جاء بعده من الأبناء حتى عهد عيسى ـ عليه السلام ـ وحتى عهد نبينا محمد ـ ﷺ ـ وقد عرفوا ـ "باليهود" أو " بيهود " من قديم الزمان ، أما من آمنوا بعيسى ، فقد أصبحوا يطلق عليهم اسم " النصارى" ، وأما من آمن بخاتم الأنبياء فقد أصبح فى عداد المسلمين ، ويعرفون بمسلمى أهل الكتاب [١] هذا وقد أكثر الله من خطابهم ببنى إسرائيل فى القرآن الكريم تذكيرا لهم بأبوة هذا النبى الصالح حتى يتأسوا به ، ويتخلقوا بأخلاقه ، ويتزكوا ما كانوا عليه من تكرار نعم الله عليهم . من ذلك قوله تعالى : ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياي فارهبون ﴾ [٢]

---

(١) أهل الكتاب: يطلقون على اليهود والنصارى ، ولكنهم فى مثل هذا يراد بهم اليهود غالبا ، لأنهم الذين كانوا يسكنون بالمدينة وما حاورها ـ أنظر الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير د/محمد أبو شهبة صـ١٢ ط مكتبة السنة .

(٢) الآية ٤٠ سورة البقرة

وقوله : ﴿ يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين ﴾ [٣] وكذلك ذكرهم ـ ﷻ ـ باسم اليهود فى غير ما أية ، وأشهر كتب اليهود هى : التوراة وقد ذكرها الله فى قوله : ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ، إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ﴾ [٤] وقوله : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء [٥] والمراد بها : التوراة التى نزلت من عند الله قبل التحريف والتبديل ، أما التوراة المحرفة المبدلة فهى بمعزل عن كونها هداية ، وكونها نورا ودل على بعض ما جاء فى التوراة التى نزلت من عند الله قبل التحريف ـ من أحكام بقوله : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ،

---

(٣) الآية ٤٧ من سورة البقرة

(٤) الآيان ٣، ٤ ق سورة آل عمران

(٥) الآية ٤٤ سورة المائدة

والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن والجروح قصاص ﴾ (٦)

وكثيرا ما يستعمل المسلمون واليهود أنفسهم لفظ التوراة ، ويطلقونه على كل الكتب المقدسة عند اليهود ، فيشمل الزبور وغيره ، وتسمى التوراة بما اشتملت عليه من الأسفار الموسوية وغيرها : العهد القديم . وكان اليهود بجانب التوراة سنن ونصائح وشروح لم تؤخذ عن موسى ، بطريق الكتابة ، وإنما تحملوها ونقلوها بطريق المشافهة ، ثم نمت على مرور الزمن وتعاقب الأجيال ، ثم دونت وعرفت باسم التلمود ، ووجد بجوار ذلك كثير من الأدب اليهودى والقصص والتاريخ والتشريع والأساطير (٧) وأما النصارى فكانت ثقافتهم تعتمد فى القالب الأهم – على الإنجيل ، وقد أشار القرآن إلى أنه من كتب السماء التى نزلت على الرسل فقال تعالى: ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا

---

(٦) سورة المائدة الآية ٤٥

(٧) التفسير المفسرون جـ ١ ١٦٦، ١٦٧ ط المختار الإسلامى الثالثة د/ محمد حسين

وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل ﴾ [٨] وغير هذا كثير من آيات القرآن التى تشهد له بذلك .

كما وجد بجوار ذلك ما زاده النصارى من القصص والأخبار والتعاليم التى زعموا أنهم تلقوها عن عيسى ـ عليه السلام ـ وهذا كله كان من ينابيع هذه الثقافة النصرانية . إذن، فقد كانت التوراة المصدر الأول لثقافة اليهود الدينية ، كما كان الإنجيل المصدر الأهم لثقافة النصارى الدينية .

وإذا نحن أجلنا النظر فى التوراة والإنجيل نجد أنهما قد اشتملا على كثير مما اشتمل عليه القرآن الكريم ، وبخاصة ما كان له تعلق بقصص الأنبياء ـ عليه السلام وذلك على اختلاف فى الإجمال والتفصيل ، فالقرآن إذا عرض لقصته من قصص الأنبياء ـ فمثلا ـ فإنه ينحو فيها ناحية يخالف بها منحى التوراة أو الإنجيل ، فتراه يقتصر على مواضع العظة ولا يتعرض لتفصيلات جزئية ، فلا يذكر تاريخ الوقائع ولا أسماء البلدان التى حصلت فيها ، كما أنه لا يذكر فى

---

(٨) الآية : ٢٧ الحديد

الغالب الأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث ، ويدخل فى تفاصيل الجزئيات ، بل يتخير من ذلك ما يمس جوهر الموضوع ، وما يتعلق بموضع العبرة فمثلا قصة آدم ـ عليه السلام ـ ورد ذكرها فى التوراة كما وردت فى القرآن فى مواضع كثيرة ، أطولها ما ورد فى سورة البقرة وسورة الأعراف وفيها لم يتعرض القرآن لمكان الجنة ولا لنوع الشجرة التى نهى آدم وزوجته عن الأكل منها ...لكن التوراة قد تعرضت لكل ذلك ومثلا نجد القرآن الكريم قد اشتمل على موضوعات وردت فى الإنجيل ، فمن ذلك قصة عيسى ومريم ، ومعجزات عيسى عليه السلام ، وكل ذلك جاء به القرآن فى أسلوب موجز يقتصر على مواضع العظة ومكان العبرة ، فلم يتعرض القرآن لنسب عيسى مفصلا ، ولا كيفية ولادته ، ولا للمكان الذى أعرض عنه القرآن فلم يذكره لنا . ونظرا لاهتمام المسلمين بكتابهم ، ورغبتهم فى تقصى واستيفاء ما أوجز القرآن من قصصه من أخبار السابقين ، عمدوا إلى سؤال من دخل فى ملتهم من أهل الكتاب ، عن بعض هذه التفصيلات التى أشار إليها القرآن إشارات موجزة ، فضلا عن أن حاجتهم إلى معرفة واقع الحياة التى كان يحياها الكتابيون كان يمثل ضرورة لفهم

الكثير مما جاء لهم القرآن فيه ، فكان هذا يمثل واقعا آخر لهذا الاستفسار .

ومما لاشك فيه أن الأخذ عن الكتابيين كان محدودا ، لأنه يقع على بعض ما جاء في القصص ، ما تطق ببعض العادات ، ولا يتعلق بأمور العقيدة ولا الشريعة ، ولأن الشك فى بعض ما جاء بهذه الكتب من جراء تحريف أهل الكتاب لها كما أشار القرآن – كان يمنع الكثير من مفسرى الصحابة عن الثقة به . فأخبارهم إن كان فيها حق ففيها باطل كثير ، وإن كان فيها صدق ففيها كذب صراح ، وإن كان فيها سمين ففيها غث كثير فمن ثم انجر ذلك إلى الإسرائيليات

ثانيا مبدأ دخول الإسرائيليات فى التفسير وتطوره

نستطيع القول بأن دخول الإسرائيليات فى التفسير أمر يرجع إلى عهد الصحابة . وذلك نظرا لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل فى ذكر بعض المسائل كما وضحنا سابقا مع فارق واحد هو : الإيجاز فى القرآن الكريم والبسط والإطناب فى التوراة والإنجيل . والرجوع إلى أهل الكتاب الذين أسلموا كان مصدرا من مصادر التفسير عند الصحابة فكان الصحابى إذا مر على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلا إلى أن يسال عن بعض ما طواه القرآن الكريم منها ولم يتعرض له ، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا فى الإسلام ، وحملوا ما معهم إلى أهله من ثقافة دينية ، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الدينى ، غير أن الصحابة . رضوان الله عليهم أجمعين – لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شئ ولم يقبلوا منهم كل شئ ، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدوا أن تكون توضيحا للقصة ، وبيانا لما أجمله القرآن الكريم منها ، مع توثقهم فيما يلقى إليهم ، فلا يحكمون عليه بصدق أو كذب ما دام يحتمل كلا

الأمرين ، امتثـــالا لقـــول الرســـول صلـــى الله عليـــه وســـلم " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنـــا بـــالله ومـــا أنـــزل إلينا .... الآية "(٩) كذلك لم يسألوهم عـــن شـــئ ممـــا يتعلـــق بالعقيدة أو يتصـــل بالأحكـــام ، اللـــهم إلا إذا كـــان علـــى جهـــة الاستشهاد والتنويه لما جاء به القـــرآن الكريـــم . كـــذلك كـــان الصحابة لا يصدقون اليهود فيمـــا يخـــالف الشـــريعة ، أو يتنـــافى مع العقيـــدة ، بل بلغ بهم الأمـــر أنـــهم كـــانوا إذا ســـألوا أهـــل الكتاب عن شئ ، فأجـــابوا عنـــه خطـــأ ردوا عليـــهم خطـــأهم ، وبينوا لهم وجه الصواب فيـــه ،

فمن ذلك ما رواه البخـــارى عـــن أبـــى هريـــرة رضـــى الله عنـــه أن رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم ذكـــر يـــوم الجمعـــة فقال : " فيـــه ساعة لا يوافقـــها عبـــد مســـلم وهـــو قـــائم يصلى ، يسأل الله تعالى شـــيئا إلا أعطـــاه إيـــاه . وأشـــار بيـــده يقـــلها "(١٠) فقـــد اختـــلف الســـلف فـــى تعيـــين هـــذه الساعة ، وهل هى باقية أو رفعت ، وإذا كانت باقيـــة فـــهل هـــى فى جمعة واحدة من السنة أو فى كل جمعـــة منـــها ؟ فنجـــد أبـــا

---

(٩)صحيح البخارى ج٦صـ٢٥ ط الشعب ٣٧٨ هـ كتاب التفسير – باب – قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا.

(١٠) البخارى ق باب الجمعة ج٢ صـ ١٦ط الشعب ١٣٧٨هـ .

هريرة – رضى الله عنه – يسأل كعب الأحبار عن ذلك [١١] فيجيبه كعب : بأنها فى جمعة واحدة من السنة ، فيرد عليه أبو هريرة قوله هذا ويبين له أنها فى كل جمعة ، فيرجع كعب إلى التوراة فيرى الصواب مع أبى هريرة ، فيرجع إليه" [١٢]

كما نجد أبا هريرة – رضى الله عنه – يسأل عبد الله بن سلام [١٣] عن تحديد هذه الساعة ويقول له : أخبرنى ولا تضن على ، فيجيبه عبد الله بن سلام عن تحديد هذه الساعة بأنها آخر ساعة فى يوم الجمعة ، وقد قال رسول الله – ﷺ " لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى " وتلك الساعة لا يصلى فيها ؟ فيجيبه عبد الله بن سلام : ألم يقل رسول الله

---

(١١)كعب الأحبار ، أصله من يهود اليمن – كان يهوديا عالما بكتبهم حتى كان يقال له : كعب الخير ، وكعب الأحبار أنظر فتح البارى ج١٧ ص ١٠١ ط مصطفى الحلبى والإصابة ج٣ ص ٣١٥ط السعادة

(١٢) القسطلانى فى شرحه للحديث السابق ج٢ صـ ١٩٠ ط الأميرية ١٣٢٥هـ

(١٣)عبد الله بن سلام : من بنى قينقاع وهو من ذرية سيدنا يوسف –عليه السلام – كان اسمه الحصين فسماه النبى ﷺ عبد الله أنظر الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ج٢ صـ ٣٢٠ ط السعادة

ﷺ " من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصلى ؟ " .. الحديث " (١٤)

فمثل هذه المراجعة التى كانت بين أبى هريرة وكعب تارة ، وبن عبد الله بن سلام تارة أخرى ، تدلنا على أن الصحابة كانوا لا يقبلون كل ما يقال لهم ، بل كانوا يتحرون الصواب ما استطاعوا ، ويردون على أهل الكتاب أقوالهم ، إن كانت لا توافق وجه الصواب . ومهما يكن من شئ ، فإن الصحابة رضى الله عنهم لم يخرجوا عن دائرة الجاز التى حددها لهم رسول الله ـ ﷺ ـ وعما فهموه من الإباحة فى قوله – عليه الصلاة والسلام – " بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عنى بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" (١٥) كما أنهم لم يخالفوا قول الرسول – عليه السلام – فى قوله : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا " (١٦)

---

(١٤)القسطلانى وسؤال أبى هريرة لابن سلام عند مالك وأبى داود والترمذى .

(١٥)صحيح البخارى ج٤ صـ ٢٠٧ ط الشعب – كتاب أحاديث الأنبياء – باب ما ذكر عن بنى إسرائيل

(١٦)صحيح البخارى ج٦ صـ ٢٥ ط الشعب – كتاب التفسير – باب : قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا "

" ولعلنا نلحظ أنه لا تعارض بين هذين الحديثين ، لأن الأول أباح لهم أن يحدثوا عما وقع لبنى إسرائيل من الأعاجيب ، لما فيها من العبرة والعظة ، وهذا بشرط أن يعلموا أنه ليس مكذوبا ، لأن الرسول ـ ﷺ ـ لا يعقل أن يبيح لهم رواية المكذوب ، قال الحافظ بن حجر [١٧] عند شرحه لهذا الحديث : وقال الشافعى من المعلوم أن النبى ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى ، حدثوا عن بنى إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم فى التحدث عنهم وهو نظير قوله " إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، ولا يرد الأذان [١٨] ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه " أ هـ وأما الحديث الثانى فيراد منه التوقف فيما يحدث به أهل الكتاب مما يكون محتملا للصدق والكذب ، لأنه ربما كان صدقا فيكذبونه ، أو كذبا فيصدقونه فيقعون بذلك فى الحرج ، أما ما خالف شرعنا

---

(١٧) فتح البارى ج٧ صـ ٣٠٩ ط الحلبى ١٩٥٩

(١٨) ـ هكذا فى النسخة التى تحت يدى ولعل فيها نقصا أى : ولا يرد الأذان فيما علم كذبه حتى يكون الكلام متناسقا منتجها .

فنحن فى حل من تكذيبه وأما ما وافقه فنحن بالطبع فى حل من تصديقه .

قال صاحب الفتح عند شرحه لهذا الحديث (١٩)

" لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " أى إذا كان ما يخبرونكم به محتملا ، لئلا يكون فى نفس الأمر صدقا فتكذبوه أو كذبا فتصدقوه فتقعوا فى الحرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه . نبه على ذلك الشافعى رحمه الله .... ثم قال : وعلى هذا نحمل ما جاء عن السلف فى ذلك " أ هـ

وأما ما أخرجه الإمام أحمد وابن أبى شيبة والبزاز من حديث جابر أن عمر بن الخطاب أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب فقال : أمتهوكون (٢٠) فيها يا بن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذى نفسى بيده ، لو أن موسى حيا

---

(١٩)فتح البارى ج٩ صـ٢٣٧ ط الحلبى ١٩٥٩

(٢٠) فى القاموس المتهوك : المتحير . أى المتحيرون الشاكون .

مبدأ الإسلام وقبل استقرار الأحكام ، والإباحة بعد أن عرفت الأحكام واستقرت ، وذهب خوف الاختلاف ، جاء فى فتح البارى للحافظ ابن حجر (٢٢) " وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن فى ذلك ، لما سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار " أ هـ .

ويمكن ان ندفع ما يتوهم من التعارض بما نقله ابن بطال عن المهلب أنه قال " النهى إنما هو فى سؤالهم عما لا نص فيه ، لأن شرعنا ملتف بنفسه ، فإذا لم يوجد فيه نص ففى النظر الاستدلال غنى عن سؤالهم ، ولا يدخل فى النهى سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا والأخبار عن الأمم السالفة " أ هـ (٢٣)

ومن هذا كله يتبين لنا أنه لا تعارض بين هذه الأحاديث الثلاثة ، كما يتبين لنا المقدار الذى أباحه الشارع من الرواية عن أهل الكتاب وبعد فهمنا لهذه الأحاديث

---

(٢٢)فتح البارى ج٧ صـ٣٠٩ ط الحلبى ١٩٥٩ م .

(٢٣)فتح البارى ج١٧ صـ١٠٠ ط الحلبى ١٩٥٩

الواضحة المعالم ، وبعد معرفتنا التامة لحرص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على امتثال ما أمرهم به الرسول ـ ﷺ ـ لا نقر – جولد زيهر ، والأستاذ / أحمد أمين – على هذا الاتهام الذى وجهاه إلى ابن عباس خاصة ، وإلى صحابة رسول الله عامة ، من رجوعهم إلى أهل الكتاب فى كل شئ وقبولهم لما هى الرسول عن أخذه من أهل الكتاب ، واليك هذا الاتهام ثم الرد عليه .

نجد فى كتاب المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن مبلغ تجنى مؤلفة " جولد زيهر " على ابن عباس بتوسعه فى الأخذ عن أهل الكتاب ، مخالفا ما ورد من النهى عن ذلك فى حديث رسول الله " لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " ونسوق هنا عبارة المؤلف بنصها ثم نرد عليه . قال " وكثيرا ما يذكر أنه فيما يتعلق بتفسير القرآن ، كان – أى ابن عباس يرجع إلى رجل يسمى أبا الجلد غيلان بن فروة الأزدى الذى أثنى الناس عليه بأنه كان يقرأ الكتب ، وعن ميمونة ابنته أنها قالت : كان أبى يقرأ القرآن فى كل سبعة أيام ، ويختم التوراة فى ستة ، يقرؤها نظرا ، فإذا كان يوم ختمها حشد لذلك ناس ، وكان يقول ، كان يقال تنزل عند

ختمها الرحمة وهذا الخبر المبالغ فيه من ابنته يمكن أن يبين لنا مكان الأب فى الاستفادة من التوراة " ثم يقول : " ومن بين المراجع العلمية المفضلة عند ابن عباس ، نجد أيضا كعب الأحبار اليهودى ، وعبد الله بن سلام ، و أهل الكتاب على العموم ممن حذر الناس من الرجوع إليهم ، ولقد كان إسلام هؤلاء عند الناس فوق التهمة والكذب ، ورفعوا إلى درجة الموثوق بهم ....

ولم تكن التعاليم الكثيرة التى أمكن أن يستقيها ابن عباس ، والتى اعتبرها من تلك الأمور التى يرجع فيها إلى أهل هذا الدين الآخر مقصورة على المسائل الإنجيلية والإسرائيلية ، فقد كان يسأل كعبا عن التفسير الصحيح لأم القرآن وللمرجان مثلا ، وقد رأى الناس فى هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم – على العموم – فى القرآن وفى كلام الرسول ﷺ وما فيها من المعانى الدينية ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد –

من كل جهة من سـؤالهم " . أ هـ [٢٤]

وقد تابعه الأستاذ أحمد أمين على هذا الرأى ، حيث يقول في " فجر الإسلام " وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الإسلام فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار ، ودخلت فى تفسير القرآن الكريم فيستكملون بها الشرح ، ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن أخذ قولهم . روى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال " إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم " ولكن العمل كان على غير ذلك ، وأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم " أ هـ [٢٥]

فالأستاذ جولد زيهر والأستاذ أحمد أمين – يريان أن الصحابة وبخاصة – ابن عباس – لم يأبهوا لنهى الرسول ـ ﷺ ـ فصدقوا أهل الكتاب وأخذوا عنهم الكثير فى التفسير –بل إن اللون اليهودى على حد زعمهما – قد صبغ مدارس التفسير الأولى – وبالأخص مدرسة ابن عباس ...

---

٢٤) المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن الكريم " جولد زيهر " ص ٦٥–٦٧ ط العلوم ترجمة الدكتور / على حسن عبد القادر .

٢٥) فجر الإسلام ص ٢٠١ لجنة التأليف والترجمة والنشر العاشرة ١٩٦٥م

رد هذا الاتـــهام

والحق أن هذا غلو فـــى الـــرأى ، وبعـــد عـــن الصـــواب ، فابن عباس وغيره من الصحابة كـــانوا يســـألون علمـــاء اليـــهود الذين اعتنقوا الإسلام ، ولكن لم يكن ســـؤالهم عـــن شـــئ يمـــس العقيدة أو يتصـــل بـــأصول الديـــن أو فروعـــة ، فشـــرعنا فيـــه الغنية ، وإنما كانوا يسألون أهل الكتـــاب عـــن بعـــض القصـــص والأخبار الماضية ، ولم يكونوا يقبلون كل ما يـــروى لـــهم علـــى أنه صواب لا يتطرق إليـــه شـــك ، بـــل كـــانوا يحكمـــون دينـــهم وعقلهم فشرعنا هو المهيمن ، فمـــا اتفـــق مـــع الديـــن والعقـــل صدقوه ، وما خالف ذلك نبـــذوه ، ومـــا ســـكت عنـــه القـــرآن " واحتمل الصدق والكذب توقفـــوا فيـــه . وبـــهذا المســـلك القويـــم يكون صحابة رسول الله ـــ ﷺ ـــ " حدثـــوا عـــن بنـــى إســـرائيل ولا حرج " وقوله : " لا تصدقـــوا أهـــل الكتـــاب ولا تكذبوهـــم " فإن الأول محمول على ما وقـــع فيـــهم مـــن الحـــوادث والأخبـــار لما فيها من العظة والاعتبار بدليل قولـــه بعـــد ذلـــك فـــإن فيـــهم أعاجيب " والثانى محمول علـــى مـــا إذا كـــان المخـــبر بـــه مـــن قبلهم محتملاً ولم يقم دليل علـــى صدقـــة ولا علـــى كذبـــه لأنهـــه

ربما كان صدقا فى نفس الأمر فيكون فى التكذيب به حرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعاً بخلافة ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعاً بوفاته ، كما أفاد بن حجر ، ونبه عليه الشافعى رضى الله عنه" . أ.هـ (٢٦)

ثم كيف يستبيح الصحابى الجليل عبد الله بن عباس رضى الله عنه أن يحدث عن بنى إسرائيل بمثل هذا التوسع الذى يجعله مخالفاً لأمر رسول الله ـ ﷺ ـ كما يزعم المفترون وقد كان ابن عباس نفسه من أشد الناس نكيراً على ذلك فقد روى الإمام البخارى فى صحيحه عن بن عباس رضى الله عنه أنه قال : " يا معشر المسلمين ، تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذى أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله ، تقرؤونه لم يشب (٢٧) وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغير وبأيديهم الكتاب فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً " (٢٨) أفلا ينهاكم ما

---

٢٦) فتح البارى جـ ٩ صـ٢٣٧ ط مصطفى الحلبى ١٩٥٩م

٢٧) لم يشب : لم يخلط بغيره ، لأنه محفوظ من الزيادة والتبديل

٢٨) الآية ٧٩ من سورة البقرة

جاءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم " [٢٩] أ.هـ البخارى .

فهل بعد هذا الحديث الصحيح ، وبعد ما عرفناه من عدالة الصحابة وخضوعهم وامتثالهم لأوامر الله ورسوله ، وشدة ورعهم وذكاء فطنتهم التى ظهرت فى المراجعة بين أبى هريرة الصحابى الخليل وبين كعب الأحبار وعبد الله بن سلام هل يعقل بعد هذا كله أن نتهم الصحابة الأخيار بالتهاون والمخالفة لتعاليم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هذا ما لا يصدقه عاقل ولا يقره صادق ، ولا يصدقه مسلم موقن

وأما ما ذكره الأستاذ " جولد زيهر " من أن بن عباس كن يرجع لرجل يسمى " أبا الجلد غيلان بن فروة الأزدى فى تفسير القرآن الكريم [٣٠] فعلى فرض صحة ذلك ، فلا نصدق أن بن عباس كان يرجع إليه فى كل شيء بل كان يرجع إليه فيسأله عن أشياء لا تعد ودائرة الجواز وليس من شك فى

---

(٢٩) صحيح البخارى جـ٣ صـ٢٣٧ ط الشعب – كتاب الشهادات – باب : لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرهـا .

٣٠) المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن الكريم ص ٦٥ط العلوم ترجمة د على حسن عبد القادر

ذلك بعد ما عرفناه من شدة نكير بن عباس ،على من كان يرجع لأهل الكتاب ، ويأخذ عنهم .

وأما ما اعتمد عليه هذا المستشرق " جولد زيهر " فى دعواه هذه من أن الطبرى عند تفسيره للفظ " البرق" فى قوله تعالى " هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً "[٣١] نسب إلى بن عباس أنه قال " إن أبا الجلد يقول : إن معناه المطر" [٣٢] فهو اعتماد لا يكاد ينهض بهذه الدعوى لأن ما رواه الإمام بن جرير رواه عن المثنى ، قال: حدثنا حجاج قال : حدثنا حماد ، قال : أخبرنا موسى بن سالم أبو جهضم مولى بن عباس قال : كتب إلى أبى الجلد يسأله عن البرق فقال : البرق : الماء" [٣٣] لو نقدنا هذه الرواية على قواعد القوم فى نقد الحديث ، لوجدنا إسنادها منقطعا لأن موسى بن سالم أبا جهضم لم يدرك بن عباس ، ولم يكن مولى له ، وإنما كان مولى العباسيين ، وروى عن أبى جعفر الباقر

---

٣١) الآية ٢ من سورة الرعد

٣٢) المذاهب الإسلامية لجولد زيهر صـ٦٥ هامش

٣٣) ابن جرير الطبرى جـ ١٣ صـ ٨٢ المطبعة الأميرية الكبرى بولاق

الذى كان بعد ابن عباس بمدة طويلة [٣٤] ثم إن سؤال بن عباس عن معنى " البرق" ليس سؤالاً عن أمر يتعلق بالعقيدة أو الأحكام وإنما هو سؤال يرجع إلى تعرف بعض ظواهر الكون الطبيعية ،وليس فى هذا ما يجر إلى مخالفة الرسول ـ ﷺ ـ فى نهيه عن سؤال أهل الكتاب ، على أن الحديث ليس فيه ما يدل على أن ابن عباس ، صدق أبا الجلد فيما قال ، وكل ما فيه : أنه حكى قوله فى البرق .

وأما قول " جولد زيهر " من أن ابن عباس كان لا يقتصر فى سؤاله لأهل الكتاب على المسائل الإنجيلية أو الإسرائيلية ، بل كان يتجاوز ذلك فيسألهم عن التفسير الصحيح لأم القرآن وللمرجان ، ونحو ذلك من الألفاظ القرآنية لما كان يراه ويراه غيره من الصحابة من أن هؤلاء اليهود كان عندهم أحسن الفهم على العموم فى القرآن الكريم وفى كلام الرسول ، فقول مكذوب لا يصدقه عقل ، ولا نرى عليه ثمة حق ، ولا أمارة صدق ، إذ كيف يعقل أن يكون ابن عباس وهو ترجمان القرآن ، ومن دعا له الرسول

---

٣٤) ميزان الاعتدال جـ ٤ صـ ٢٠٥ ط عيسى الحلبى ، وخلاصة تذهيب الكمال جـ٣صـ٦٥ ط الفجالة الجديدة ١٩٧١ لعل ما قاله ابن جرير من أنه مولى ابن عباس سهو منه أو لغلة خطأ وقع أثناء الطبع

الكريم بقوله : اللهم فقــه فــى الديــن ، وعلمــه التــأويل " (٣٥) ومن كان عنده أدق الفهم لإشــارات القــرآن ودقــائق معانيــه ، حتى لقد ظهر أكثر من مرة فى المســائل المعقــدة فــى التفســير بمظهر الرجل الملهم " (٣٦) و الذى أثنــى عليــه علــى بــن أبــى طالب على براعته وشفافية عقله فــى التفســير بقولــه ،" كأنمــا ينظر إلى الغيب من ستر رقيــق ". (٣٧) الــذى قــال فيــه عبــد الله بن عمر رضــى الله عنــهما – أن ابــن عبــاس أعلــم أمــة محمد بما نزل على محمــد. (٣٨)

رأينا فى هذه المســألة :

ولا أظن بعد هذا البيان الشــافى أن يعقــل أن ابــن عبــاس رضى الله عنه وهذه بعض صفاته – يرجــع إلــى رجــل يــهودى دخيل على العرب فــى لفــظ عربــى ورد فــى كتــاب الله أو فــى سنة رسوله ــ ﷺ ــ ولو رجعنــا إلــى الروايــات الــواردة فــى ذلك ونقدناها على طريق المحدثين فــى نقــد الحديــث لوجدناهــا

---

٣٥) مسند الإمام أحمد جـ١ صـ٣١٤ ط الميمنية –رواه سعيد ابن جبير عن ابن عباس

٣٦) أسد الغابة جـ ٦ صـ ١٩٢ ط الوهبية ١٢٨٠

٣٧) أسد الغابة جـ٦ صـ١٩٥ ط الوهبية ١٢٨٠

٣٨) أسد الغابة جـ٦ صـ١٩٥ ط الوهبية ١٢٨٠

معلولة الأسانيد ، ولا تصلح أن تقوم بها حجة على دعوى رجوع ابن عباس لأبى الجلد أو لغيره لمعرفة لفظ قرآنى أو نبوى دق عليه فهمه وخفى عليه معناه .

و أما ما نسب لعبد الله بن عمرو بن العاص من أنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب اليهود فكان يحدث منهما ، فليس على إطلاقه ، بل كان يحدث منهما فى حدود ما فهمه من الإذن فى قوله عليه الصلاة والسلام (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج كما نص على ذلك ابن تيمية [٣٩] هذا هو مبلغ رجوع الصحابة إلى أهل الكتاب وأخذهم عنهم .

ولكن يبدو أن المستشرقين ومن لف لفيفهم ممن أضله الله على علم لا يستريح لهم بال إلا إذا نالوا من الصحب الأخيار الذين زكاهم رسول الله ـ ﷺ ـ بقوله لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه متفق عليه وقال أبو زرعة الرازى إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب النبى ـ ﷺ ـ فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول ـ ﷺ ـ حق والقرآن

---

٣٩) مقدمة بن تيمية ق أصول التفسير صـ٢٦ ط الترقى بدمشق ١٩٣٦

الكريم حق وما جاء به حق وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة فهؤلاء الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة فالجرح بهم أولى.

وجدنا أبا ربة صاحب " أضواء على السنة المحمدية " (٤٠) يزعم أن أحبار اليهود اتبعوا بدهائهم العجيب طرقا غريبة لكى يستحوذوا بها على عقول المسلمين ، ويكونوا محل ثقتهم ، وموضع احترامهم ، وساق دليلا على ذلك : حديث البشارة برسول الله ـ ﷺ ـ وذكر أوصافه فى التوراة وقال عنه : إنه خرافة إسرائيلية امتدت وسرت إلى أحد تلامذة كعب الأحبار عبد الله بن عمرو بن العاص أهـ هكذا فى جراءة بالغة يرمى أبو ربة عبد الله بن عمرو بأنه مخدوع بخرافات الإسرائيليات وأباطيلها ويحكم على حديث صحيح أنه من وضع أحبار اليهود الذين أسلموا وأنهم استحوذوا على عقول المسلمين وكانت فريستهم فى ذلك عبد الله بن عمرو بن العاص .

---

٤٠) أضواء على السنة المحمدية لأبى ربة صـ ١٥٠-١٥١

والحق إننا لا نتهم عبد الله بن عمرو بكثرة الرواية من زاملتـه فـى تسامح ولا مـن جعلـه مخدوعـا بخرافـات الإسرائيليات وأباطيلها فذلك مما لا يتصور فى حـق ذلـك العـالم الفاضل الناسك لقد نسب إليه أنه أصاب زاملتين مـن كتـب اهـل الكتاب يوم اليرموك ولا يقدح ذلك فيه على فـرض صحتـه فقـد عرف بالعلم والفضل وبأنه كان عنده شـغف بالكتابـة والقـراءة قال عنه صاحب أسـد الغابـة [٤١] " أسـلم قبـل أبيـه "، وكـان عالماً فاضلاً ، قرأ القرآن والكتـب المتقدمـة ، واسـتأذن النبـى صلى الله عليه وسلم فى أن يكتب عنـه ، فـأذن لـه فقـال يـا رسول الله : أكتب ما أسمع فى الرضا والغضـب : قـال : نعـم ، فإنى لا أقول إلا حقا " ا هـ وقـال عبـد الله بـن عمـرو عـن نفسه[٤٢] حفظت عن النبى ﷺ ألف مثـل" ا هـ.

وروى البخارى عن أبـى هريـرة رضـى الله عنـه أنـه قال[٤٣] : ما من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ أحـد اكـثر حديثـاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بـن عمـرو، فإنـه كـان يكتـب

---

٤١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج٣ صـ٢٣٣ ط الوهبية ١٢٨٠ه

٤٢) المرجع السابق

٤٣)صحيح البخارى ج١ صـ٣٨ ط الشعب كتاب العلم باب كتابة العلم

ولا أكتب " ا هـ وقال مجاهد : " أتيت عبد الله بن عمرو فتناولت صحيفة تحت مفروشة فمنعني ، فقلت : ما كنت تمنعني شيئا ، قال هذه الصادقة ، ما سمعت من رسول الله ـ ﷺ ـ ليس بيني وبينه أحد ، إذا سلمت لي هذه ، وكتاب الله ، والرهط ، فلا أبالي ما كانت عليه الدنيا " (٤٤)

كل هذا يدل على المكانة العلمية العالية التي كان عليها عبد الله بن عمرو وعلى غزارة المادة التي كانت لديه في ذلك . ولكن على رغم غزارة المادة العلمية لدى عبد الله ، وبخاصة ما كان راجعا إلى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ لم يعرف عنه أنه أكثر من رواية الحديث كما أكثر غيره ، هذا كله يدل على شدة الحيطة والحذر والورع والتقوى ، وهذا الورع جعله لا يكثر من الرواية مع كثرة محفوظاته ، فكيف به أن يبث (٤٥) من زاملتيه كل ما نسب إليه من روايات إسرائيلية ، وبعضها باطل وكذب صريح ، وكيف يكون هذا شأن رجل كان يفنى نهاره صائما وليله قائما ولا يكاد يفتر عن تلاوة القرآن حتى شكاه أبوه من أجل ذلك إلى رسول الله

---

٤٤) أسد الغابة جـ٣ صـ٢٣٤ ، والوه كما في القاموس سيبان وقال كان لعمرو بن العاص بالطائف

٤٥) يبث : ينشر

ـ ﷺ ـ [٤٦] وفي حديث عبد الله بن عمرو مع الرسول ـ ﷺ ـ حي [illegible] : يا رسول الله ، أكتب ما أسمع في الرضا والغ [illegible] ما يدل على الحيطة التي تنفي عنه التساهل لكل [illegible] في إليه ، ولو كان مصدره مشكوكا فيه ؟ وإذا سلمنا أن [illegible] د الله بن عمرو حدث من زاملتيه ، فلا نسلم إلا أنه حدث منز [illegible] في حدود الإذن في قوله عليه الصلاة والسلام " حدثوا [illegible] ن بني إسرائيل ولا حرج "

وأما ما زعمه أبو رية من أن حديث البشارة بالنبي ـ ﷺ ـ وذكر أوصافه في التوراة خرافة إسرائيلية سرت إلى عبد الله بن عمرو عن طريق أستاذه كعب الأحبار ، فتلك فرية على عبد الله ، وكعب الأحبار ، ـ رضي الله عنهما ـ كما أنه جحود لصريح القرآن ، وصحيح الحديث عن الرسول فالقرآن الكريم يقول : " ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر

---

٤٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر نسخة على هامش الإصابة جـ٢ صـ٣٤٧ ط السعادة ١٣٢٨هـ

ويحل لهن الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون " (٤٧)

وصحيح البخارى وهو أصح الكتب بعد كتاب الله - جاء فيه : أن عطاء ابن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قلت : أخبرنى عن صفة رسول الله - ﷺ - فى التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ،ولا سخاب (٤٨) فى الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن

---

٤٧) الآيتان : ١٥٦، ١٥٧ من سورة الأعراف

٤٨) سخاب : من السخب بالسين المهملة ويقال فيه : الصخب ، بالصاد المهملة بدل السين ، وهو رفع الصوت بالخصام

يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينـــا عميـا ، وآذانـا صمـا ، وقلوبا غلـــفا " (٤٩) أ هـــ

وإذا كان هـذا موفـق القـرآن والسـنة ، وهمـا مصـدرا التشريع – إذا كان موقفهما كذلك من هذه البشـارة فكيـف بـهذا الزعم المكذوب المفـترى ! وهـل نصـدق القـرآن والسـنة ، أم نصدق من اتبع هواه وأضله الله علـى علـم ؟

أما التابعون : فقد توسعوا فـى الأخـذ عـن أهـل الكتـاب فكثرت فى عهدهم الروايات الإسرائيلية فـى التفسـير – ويرجـع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب فى الإسـلام ، وميـل نفـوس القوم لسماع التفاصيل ، عما يشـير إليـه القـرآن الكريـم مـن أحـداث يهوديـة أو نصرانيـة ، فظـهرت فـى هـذا العصـر المتناقض، ومن هـؤلاء : مقـاتل بـن سـليمان المتوفـى سـنة ١٥٠ هـ الذى نسبه أبو حاتم أنه استقى علومـه بـالقرآن مـن اليهود والنصارى ، وجعلها موافقة لمـا فـى كتبـهم " (٥٠) بـل ونجد بعض المفسرين فـى هـذا العصـر – عصـر التـابعين –

---

٤٩) صحيح البخارى جـ٣ صـ ٨٧ ط الشعب – كتاب البيوع – باب كراهية السخب فى الأسواق ، وفى البخارى أيضا كتاب التفسير – باب إنا أرسلناك شاهدا .... "

٥٠) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٢ صـ١١٣ ط اليمنية بمصر ١٣١٠هـ

يصل بهم الأمر إلى أن يصلوا بين القرآن ومـــا يتعلـق بالإســلام فـــى مســـتقبله ، فيشـــرحوا القـــرآن بمـــا يشـــبه التكـــهن عـــن المستقبل ، والتنبؤ بما يطويـــه الغيـــب .. (٥١)

ثـــم جـــاء بعـــد عصـــر التـــابعين مـــن عظـــم شـــغفه بالإسرائيليات ، وأفرط فى الأخـــذ منـــها إلـــى درجـــة جعلـــهم لا يردون قولا ، ولا يحجمون عـــن أن يلصقـــوا بـــالقرآن كـــل مـــا يروى لهم وإن كان لا يتصـــوره عقـــل . واســـتمر هـــذا الشـــغف بالإسرائيليات ، والولع بنقل هـــذه الأخبـــار ، إلـــى أن جـــاء دور التدوين للتفسير ، فوجد من المفسرين مـــن حشـــو كتبـــهم بـــهذا القصص الإسرائيلى الذى كاد يصـــد النـــاس عـــن النظـــر فيـــها ، والركون إليها . وكان الأولـــى أن نجنـــب كـــلام الله كـــل دخيـــل وكل سئ ، فكتاب الله أول بالعنايـــة ، وأجـــدر بالرعايـــة ، حتـــى يحتفظ بهيبته ووقـــاره .

---

٥١) راجع فى هذا المقام تفسير للألوسي جـ١٥ صـ٩٣ (

ثالثا : أثر هذه الإسرائيليات فى التفسير ومدى خطورتها على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام

ولقد كان لهذه الإسرائيليات التى أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله أثر سئ فى التفسير ، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه فى عهد الصحابة ، بل زادوا على ذلك فردوا كل ما قيل لهم ، إن صدقا وإن كذبا ، ودخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالى المخترع ، مما جعل الناظر فى كتب التفسير التى هذا شأنها ، يكاد لا يقبل شيئا مما جاء فيها لاعتقاده أن الكل من واد واحد . بل إن المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشوك فى طريق المشتغلين بالتفسير ، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما روى من قصص مكذوب ، وأخبار لا تصح ، كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التى لا يكاد يصح شئ منها إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب ، جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الريبة والاتهام .

و أرى هنا أن أذكر واقعة منسوبة إلى كعب الأحبار وهو منها براء وجدنا الأستاذ أحمد أمين فى فجر الإسلام ، يحاول أن يغض من ثقة كعب وعدالته ، بل لا أكون مبالغ إذا

قلت ، ودينه . يقول : يروى ابن جرير أن كعب جاء إلى عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة أيام وقال له : اعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام ، قال : وما يدريك ؟ قال : أجده فى كتاب الله – عز وجل – فى التوراة ، قال عمر : إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ؟ قال : اللهم لا ، ولكن أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك ، ثم قال الأستاذ " أحمد أمين " وهذه القصة إن صحت ، دلت على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر ، ثم وضعها هو فى هذه الصيغة الإسرائيلية ، كما تدلنا على اختلافه فيما ينقل.. ثم قال وعلى الجملة فقد دخل على المسلمين من هؤلاء وأمثالهم – يريد كعبا وإضرابه – فى عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم أثر غير صالح " [٥٢] أ هـ

تفنيد هذا الاتهام

إن ما يعرف عن كعب الأحبار من دين وخلق ، وأمانته ، يجعلنا نحكم بأن هذه القصة موضوعه عليه ، كما ننزهه عن أن يكون كذابا وضاعا ، وننزهه كذلك عن أن

---

٥٢) فجر الإسلام صـ ١٦١ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة العاشرة ١٩٦٥ .

يكون على علم بمكيدة قتل عمر ، وما دبر من أمرها ثم لا يكشف لعمر عن قاتله ، كما ننزهه عن أن يكون وضاعا يحتال على تأكيد ما يخبر به من مقتل عمر بنسبته إلى التوراة وصوغه فى قالب إسرائيلي ثم إن هذه القصة لو لم تكن موضوعة عليه ، لكان معنى ذلك ان كعبا – وهو شريك فى الجريمة كما يزعم – يكشف عن نفسه بنفسه ، وذلك على غير المألوف من عادة المجرمين من المبالغة فى كتمان ما يدبرون ، وعدم إثارة الشكوك حولهم .

<u>وللشيخ محمد أبى زهو كلام طيب فى الرد على هذه القضية :</u>

يقول : " وإذا نظرنا فى هذه القصة لا نشك فى أنها تنادى على نفها بالكذب والاختلاق وذلك :

١–لأنها لو كانت فى التوراة لما اختص بها فى العلم كعب وحده ، ولكن كان يشاركه المعلم بها أمثال عبد الله بن سلام ممن لهم علم بالتوراة .

٢– ولأنها لو صحت لكان المنتظر من عمر حينئذ ألا يكتفى بقول كعب ، ولكن يجمع طائفة ممن أسلم من أهل

الكتاب أو لهم إحاطة بالتوراة ويسألهم عن هذه القصة ، وهو لو فعل لافتضح أمر كعب ، وظهر للناس كذبه ، ولتبين أنه شريك فى مؤامرة دبّرتَ لقتله ، أو أنه على علم بها ، وحينئذ يعمل عمر على الكشف عنها بشتى الوسائل وينكّل بمدبريها ومنهم كعب ..... إلى أن قال : لكن شيئا من ذلك لم يحصل فكان ذلك دليلا على اختلاقها .

٣-وأيضا ، فإنها لو صحت ، لكان معناها أن كعباً له يد فى المؤامرة وأنه يكشف عن نفسه بنفسه ، وذلك باطل ، لمخالفته طباع الناس ، إذاً المعروف أن من اشترك فى مؤامرة ، يبالغ فى كتماتها بعد وقوعها تفادياً من تحمل تبعتها ويشتد حرصه وتزداد مبالغته فى الكتمان قبل وقوعها حرصاً على نجاحها ، فالكشف عن المؤامرة لا يكون إلا من مغفل أبله ، وهذا خلاف ما كان عليه كعب من حدة الذهن ووفرة الذكاء .

٤-ثم ما للتوراة وتحديد أعمار الناس وتاريخ وفياتهم ؟.

إن الله إنما أنزل الكتب نورا وهدى للناس ، لا لمثل هذه الأخبار التى لا تعدو أصحابها وما دام الأمر كذلك فلا

نقول عن هـذه القصـة إلا أنـها مفـتراة ، وأن اتـهام كعـب بالكيد للإسلام فـى شـخص عمـر ، والكـذب فـى النقـل عـن التوراة ، اتهام باطل لا دليل عليـه "[٥٣] أ هـ

وأمـا عـن خطـورة الإسـرائيليات علـى عقـائد المسـلمين وقدسـية الإسلام ، فإنـها تفضـى إلى نتـائج خطـيرة نذكـر منـها الآتـى :

١) أنها تفسد على المسلمين عقائدهم بمـا تنطـوى عليـه من وصـف الله – تعـالى – لا يليـق بذاتـه وجلالـه ، وبما فيها من نفى العصمة عـن الأنبيـاء والمرسـلين . ومن ذلك الذى لا يليق بجـلال الله وكمالـه مـا جـاء فى الإصحاح الثـانى مـن سـفر التكويـن مـن أن الله فرغ من خلق الدنيـا فاسـتراح فـى اليـوم السـابع ، وبارك ذلك اليوم وقدسـه ، لأنـه اسـتراح فيـه مـن جميع عمله الذى عمـل "[٥٤]

---

٥٣) الحديث المحدثون : الشيخ محمد أبو زهو صـ ١٨٢ ، ١٨٣ المطبعة المصرية الأولى ١٣٧٨ هـ

٥٤) الكتاب المقدس – الإصحاح الثانى من سفر التكوين صـ ٥ ط حلمى ١٩٧٠ م

والقرآن الكريم المصدر الخالد الـــذى لا يأتيـــه البـــاطل من بين يديه ولا من خلفة تنزيل من حكيـــم حميـــد " ينفـــى التعب عن الله فى صراحة ووضوح حيث يقـــول عـــز مـــن قائل ، " ولقد خلقنا الســـموات والأرض ومـــا بينـــهما فـــى ستة أيام وما مسنا من لغـــوب " (٥٥)

ومثال ما فيه نفـــى للعصمـــة عـــن الأنبيـــاء " قصـــة أيوب وبلائه " وخلاصتها ، أن هـــذه القصـــة بـــها زيـــادات وافـــتراءات لا تليـــق بشـــأن الأنبيـــاء ومكانتـــهم مـــن الله تعالى ، فذكروا : أن أيـــوب أصيـــب بمـــرض حتـــى قـــرح لحمه وتقطع وأنتن ، فأخرجه أهـــل القريـــة حتـــى جعلـــوه على كناسة لهم ، ورفضـــه خلـــق الله كلـــهم غـــير امرأتـــه .... (٥٦) هذه القصة نسبت إلى بعض أهـــل الكتـــاب

تفنيد هذه الروايـــة :

هذه الرواية بلا شك مفتراة مكذوبـــة ، فالأنبيـــاء يســـتحيل عليهم الأمراض المنفرة ، والعقل لا يقبـــل بحـــال مـــن الأحـــوال ،

---

٥٥) الآية ٢٨ من سورة " ق "

٥٦)تفسير الخازن جـ٤ صـ٣٠٧ ط مصطفى الحلبى الثانية ١٩٥٥ م

أن يكون أى داعية إلى مبدأ أو عقيدة ، فيه كل هذه المنفرات التى تصد الناس عنه وتباعد بينهم وبينه ، والنقل صريح فى أن القادة – فضلا عن الرسل – لابد أن تكون لهم من الصفات البدنية بجوار ما لهم من الصفات الخلقية – ما يلقى عليهم المهابة ، وإلا فما معنى : قول الله –تعالى – " وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أنا يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ، قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم " (٥٧)

٢) أن هذه الإسرائيليات تصور الإسلام فى صورة دين خرافى يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها ، وكلها نسيج عقول ضالة ، وخيالات جماعات مضللة . من ذلك ما جاء فى تفسير القرطبى عند تفسير قوله تعالى " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ، ويؤمنون به ويستغفرونه للذين آمنوا .... الآية " (٥٨) من أن حملة العرش أرجلهم فى الأرض السفلى ، و رؤوسهم قد خرقت العرش وفيه لما خلق الله تعالى العرش قال : لن يخلف الله

٥٧) الآية : ٢٤٧ من سورة البقرة

٥٨) الآية ٧ من سورة غافر

وفيه لما خلق الله تعالى العـــرش قـــال : لـــن يخلـــف الله أعظـــم منى ، فاهتز ، فطوقه الله بحيـــة ، للحيـــة ســـبعون ألـــف جنـــاح فى الجناح سبعون ألف ريشة ، فـــى كـــل ريشـــة ســـبعون ألـــف وجه ، فى كل وزجه ســـبعون ألـــف فـــم إلـــى آخـــر القصـــة [٥٩] وهى كما ترى خرافـــات وأبـــاطيل لا أصـــل لـــها ، و لا يقبلهـــا عقل ولا يصدقها نقل ، وما علاقة العرش بالحيـــة هنـــا ، فحملـــة العرش ملائكـــة كـــرام يســـبحون بحمـــد ربـــهم ويؤمنـــون بـــه ويستغفرون للذين آمنـــوا " .

٣-أنها كادت تذهب بالثقة فى بعض علمـــاء الســـلف مـــن الصحابة والتابعين ، فقد أسند من هذه الروايات الإسرائيلية المنكرة شئ كثير إلى بعض السلف الصالح ، الذين عرفوا بالثقة والعدالـــة ، واشتهروا بين المسلمين بالتفسير والحديث ، واعتبروا من المصادر الدينية الهامة عند المسلمين ، فاتـــهموا مـــن أجـــل نســـبة هـــذه الإسرائيليات إليـــهم باتـــهامات نعيذهـــم منـــها ، وعدهـــم بعـــض المستشرقين ومن على شاكلتهم من المســـلمين مدسوســـين علـــى الإسلام وأهله ، ومن أكثر هؤلاء السلف تحاملا عليه ونيـــلا منـــه الصحابى الجليل أبو هريرة ، وعبد الله بن سلام .. وغيرهم من لهم

---

٥٩) أنظر القصة مطولة فى تفسير القرطبى جـ١٥ صـ٩٤،٩٥ ط دار الكتب المصرية ١٩٦٧م .

قدم راسخة فى الإسلام ، وأرى من المناسب هنا أن أسوق شـــاهدا على هذا الاتهام ثم أعقب عليه بالرد المفحم المفحم . " رأينا أبا رية يقول " إن كعب الأحبار اظهر الإسلام خداعا ، وطوى قلبـــه علـــى يهوديته ، وأنه سلط قوة دهائه على سذاجة أبـــى هريـــرة ، لكـــى يستحوذ عليه ، ويلقنه كل ما يريد أن يبثه فى الدين الإسلامى مـــن خرافات وأوهام .... وانه قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلامه بالنص ، ويجعله حديثا مرفوعا إلى النبى ﷺ (٦٠) يقول أبو رية هذا الكلام فى جرأة غريبة ، ثم يسوق من الروايـــات عـــن أبى هريرة ما يراه مبررا لهذا الزعم المكذوب الفاضح .

والآن : نرد عليه ، اتهامه للصحابي الجليل أبى هريرة – رضـــى الله عنه ، ثم نرد عليه اتهامه لكعب الأحبار – رضى الله عنه.

أولا: الرد على اتهامه لأبى هريرة – رضـــى الله عنـــه .

نحن لا ننكر أن الصحـــابى الجليـــل – أبـــا هريـــرة – كـــان يأخذ عن كعب وغيره ممن اســـلموا مـــن أهـــل الكتـــاب ، وإنمـــا الى ينكره كل عاقل وكل منصف للحق ، ما رمى بـــه مـــن غفلـــة وسذاجة ، اســـتغلها كعـــب فيـــه ، فـــاتخذ منـــه داعيـــة لأفكـــار

---

٦٠) أضواء على السنة المحمدية لأبى رية صـــ٢٠٧ ط دار المعارف الثالثة بمص

يهودية يبثها [٦١] بين المسلمين ! ؟ لا يعقل ولا يتصور أن يكون أبو هريرة ساذجا وإلى هذا الحد الذى يجعل منه معولا هداما للمسلمين ، بل للإسلام ومقدساته ، وكيف ذلك ؟ وهو الذى كان يتصدى للفتوى ، ويجلس له مشاهير الصحابة ، ويأخذون عنه حديث رسول الله ﷺ كابن عباس ، وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك " [٦٢] أم كيف يكون ساذجا مغفلا ، من جعله رسول الله ـ حارس على أموال الزكاة [٦٣]، ومن ولاه عمر رضى الله عنه إمارة البحرين مرة ، وعرضها عليه أخرى فأبى[٦٤]، وعمر هو عمر العبقرى الملهم كما شهد له بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لقد كان فيما قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن

---

٦١) يبثها : ينشرها

٦٢) أسد الغابة ج٥ صـ ٣١٧ ط الوهبية

٦٣) انظر صحيح البخارى حـ٣ ص٢ ،١٣٣ ط الشعب ، وحديث ولايته على اموال الزكاة ، كتاب الوكالة ، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز

٦٤)الإصابة حـ٤ صـ ٢١٠ ط السعادة .

فى أمتى أحد ، فإنه عمر[٦٥] ويكفينا شاهدا على أن أبا هريرة رضى الله عنه كان يقظاً فطناً أنه ما كان يسلم لكعب ولا لغيره من مسلمى أهل الكتاب بكل ما يقولون بل كان يراجعهم فيرجعون بقوله مما يعتبر بحق أمارة حذقة ودقته ودليل فطنته جاء فى الإصابة : " أن أبا هريرة لقى كعب فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب : ما رأيت رجلاً لم يقرأ التوراة ، أعلم بما فى التوراة من أبى هريرة[٦٦] ومهما يكن من شيء فإن الصحابة رضى الله عنهم لم يخرجوا عن دائرة الجواز التى حددها لهم رسول الله ﷺ ولا عما فهموه من الإباحة فى قوله " بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[٦٧] ا هـ

---

٦٥) صحيح البخارى حـ٥ صـ١٥ ط الشعب باب فضائل اصحاب النبى .

٦٦) الإصابة حـ٤ صـ٢٠٨ ط السعادة

٦٧) صحيح البخارى حـ٤ صـ ٢٠٧ ط الشعب ١٣٧٨ هـ

ثانياً : الرد على اتهام أبى رية لكعب الأحبار رضى الله عنه :

لو تتبعنا حياة كعب فى الإسلام ، ورجعنا إلى مقالات بعض أعلام الصحابة فيه ، لو فعلنا ذلك ، ووضحنا بالبحث من تحمل منهم عنه وروى له ، لوجدنا ما ينفى كل الشبهات التى تثار حوله وتدحضها . ولا يعقل ولا يتصور أن الصحابة يلهجون بالثناء على رجل دخيل طوى قلبه على يهوديته ، واستحوذ على بعض الصحابة ليبث سمومه من خرافات وأوهام فى الدين الإسلامى وللإنصاف نقول : إنه طوى قلبه على الإسلام المحض ، والدين الخالص فقد أسلم كعب على الترجيح فى خلافة عمر رضى الله عنه . وسكن المدينة ، وصحب عمر ، وروى عنه ، وشارك فى غزوة الروم ، فى خلافة عمر [٦٨]" وعمر كما نعلم عن عبقريته وإلهامه ، فهل يعقل من كان شأنه هكذا ، ومن كان القرآن مؤيد الآية ، وموافقاً فى كثير من آياته البينات ، هل يعقل أن يساكن كعب فى المدينة ويصحبه ويكتبه فى جيش المسلمين لغزو الروم وهو مشكوك فيه وفى إسلامه؟ وما كان لمنصف أن يشك فى

---

٦٨) الإصابة حـ٣ صـ٣١٦ ط السعادة ، وفتح البارى حـ١٧ صـ١٠١ ط مطبعة الحلبى .

كونه ثقة بعد ما ثبت من روايـــة أعـلام الصحابـة عنـه كـأبى هريرة ، وعبد الله بن عمـــر وعبـد الله بـن الزبـير ولـم يكـن هؤلاء ولا كل من روى عنـــه سـذجا ولا مخدوعيـن فيـه ، بـل كان العكس فقد أيقنوا أنه صدوق فيمـا يـروى ، فـرووا عنـه ، على المقياس المعتبر الصحيـــح.

وما جاء فى الكتب الصحيحة المعتمـــدة عنـد أهـل العلـم يجعلنا نثق فيه ونعدله فقـــد تحـدث عنـه بالعدالـة والنزاهـة : الحافـظ ابن حجـر فـى الفتـــح ، فقـال : " كـان مـن خيـار الأحبـار (٦٩)

وفى تهذيب التهذيب يتثنى عليه معاويـــة رضـى الله عنـه فيقول " ألا كعب الأحبـــار أحـد العلمـاء ، إن كـان عنـده علـم كالثمار وإن كنا لمفرطين (٧٠)" وجاء عنـــه فـى الإصابـة : أنـه عندما فتح الكتب التى تركها له أبوه ، وجـد فيـها صفـة النبـى صلى الله عليه وسلم وأمته أسلم وحســـن إسـلامه(٧١).

---

٦٩) فتح البارى حـ١٧ صـ١٠١ ط مصطفى الحلبى .

٧٠) تهذيب التهذيب حـ٨ صـ ٤٣٩ ط الهند

٧١) الإصابة حـ٣ صـ٣١٦ ط السعادة ١٣٢٨ هـ

وصفوة القول : أننا لم نجد من طعن فى كعب ورماه بالكذب إلا ما كان من بعض المتأخرين وأمثالهم ، كأحمد أمين فى كتابه " فجر الإسلام " وأبى رية فى كتابه " أضواء على السنة المحمدية ، وقد ذكرنا كلام هؤلاء وردنا عليهم بما هو الحق . ومن يتتبع كلام هؤلاء ويدقق النظر فيه ، يجد أن هؤلاء لا يذمون بعض الصحابة الأعلام ويتهمونهم بالغفلة والسذاجة . والحق يقال : أن الصحابة كانوا أعلم أمة محمد بما نزل على محمد والحق أحق أن يتبع .

رابعاً اقسام الإسرائيليات وحكم روايتها

أولاً أقسام الإسرائيليات:

للإسرائيليات تقسيمات ثلاثة باعتبارات مختلفة:

فتنقسم أولاً : باعتبارات الصحة وعدمها إلى صحيح وضعيف

فمثال الصحيح : ما أخرجه ابن كثير في تفسيره عن ابن جرير قال : حدثنا المثنى ، حديثا عثمان بن عمر حديثا فليح عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار قال : " لقيت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، قال أجل ، وإنه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ،وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غيظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقول . لا إله إلا الله ، ويفتح الله به قلوب غلفا ، وآذانا صما ، وأعينا عميا "

قال عطاء : ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا ، إلا أن كعباً ، قال بلغته : قلوبا غلوفياً ، وآذانا صموميا ، وأعينا عموميا "

وقد علق الحافظ ابن كثير على هذا بقوله " وقد رواه البخارى فى صحيحه عن محمد ابن سنان عن فليح ، عن هلال بن على فذكر بإسناده نحو ، وزاد بعد قوله[٧٢]: ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب فى الأسواق ، ولا يجزئ بالسيئة ،ولكن يعفوا ويصفح " ا هـ

مثال الضعيف : الأثر الذى رواه أبو محمد بن عبد الرحمن عن أبى حاتم الرازى ،ونقله عنه ابن كثير فى تفسيره لكلمة " ق" فى أول سورتها وقال : إنه أثر غريب لا يصح ، وعده من خرافات بنى إسرائيل وفسوق الأثر بنصه لكى يتبين لنا صحة هذا الحكم " قال بن أبى حاتم حدثنا أبى قال : حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومى ، حدثنا ليث

---

٧٢) تفسير ابن كثير حـ٢ صـ٢٥٣ ط عيسى الحلبى ، عند تفسيره لقوله تعالى " الذين يتبعون الرسول النبى الأمي .....الخ الآية ١٥٧من سورة الأعراف . وأخرج الحديث ى كتاب البيوع باب كراهية السخب فى الأسواق حـ٣ صصـ٨٧ ط الشعب ١٣٧٨هـ وكتاب التفسير عند البخارى أيضا باب إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا.....الخ.

ابن أبى سليم ، عن مجاهد ، عن ابـن عبـاس رضـى الله عنـهما قال : خلـق الله تبـارك وتعـالى مـن وراء هـذه الأرض بحـرا محيطا ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال لـه "قـاف " سـماء الدنيا مرفوعة عليه ، ثم خلق الله تعـالى مـن وراء ذلـك الجبـل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثـم خلـق مـن وراء ذلـك بحرا محيطا بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقـال لـه " قـاف " السماء الثانية مرفوعة عليه .. حتى عـد سـبع أراضيـن وسـبعة أبحر وسبعة أجبل ، وسبع سموات ، قال : وذلـك قولـه تعـالى : " والبحر يمده من بعده سبعة أبحـر " (٧٣) أ هـ

قال الحافظ ابن كثير – معلقا علـى هـذا الأثـر ، عـلاوة على تعليقه السابق – فإسناد هذا الأثر فيه انقطـاع . ثـم قـال : الذى رواه على بن بن أبى طلحة عن ابـن عبـاس – رضـى الله عنهما – فى قوله تعالى " ق " هو اسـم مـن أسـماء الله – عـز وجل – والذى ثبت عن مجاهد أنه حـرف مـن حـروف الـهجاء كقوله تعالى " ص – ن– طس – الم " ونحـو ذلـك فـهذه تبعـد ما تقدم عن ابن عباس – رضـى الله عنـهما " (٧٤)

---

٧٣) الآية :٧من سورة لقمان

٧٤) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ٢٢١ط عيسى الحلبى

ثانيا : وتنقسم الإسرائيليات باعتبار موافقتها لما فى شرعنا ومخالفتها له إلى ثلاثة أقسام :

١- موافق لما فى شريعتنا

٢- مخالف لما فيها

٣-مسكوت عنه ، ليس فى شرعنا ما يؤيده ولا ما يفنده .

مثال الأول ، وهو ما جاء موافقا لما فى شريعتنا – ما رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى قال : " حدثنا يحيى بن كثر ، حدثنا الليث عن خالد ، عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال : قال النبى ﷺ تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده ، كما يكفأ أحدكم خبزته فى السف ، نزلاً لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال ، بلى ، قال : تكون الأرض خبرة واحدة – كما قال النبى

– ﷺ – فنظر النبـــى – ﷺ – إلينـــا ثـــم ضحـــك حتـــى بـــدت نواجـــزه .. " (٧٥)

ومثال الثـــانى : وهـــو مـــا جـــاء مخـــالف لمـــا فـــى شريعتنا ، وهو مـــا ورد فـــى قصـــة أيـــوب وبلائـــه بـــالمرض المنفر حتى قرح لحمه ، وتقطع وأنتـــن ، فأخرجـــه أهـــل القريـــة حتى جعلوه على كناسة لهم ، وجعلـــوا لـــه عريشـــة ، ورفضـــه خلق الله كلهم غير امرأته . (٧٦) تعليـــق وهـــذه القصـــة تنـــادى على نفسها بالكذب والافتراء فالأنبياء يستحيل عليـــهم مـــا ينفـــر الناس منهم ويجعلهم عرضة للســـخرية ، فـــهم أصحـــاب دعـــوة ورسالة ، والله أعلم حيث يجعـــل رســـالته .

ومثال الثالث: وهو مـــا ســـكت عنـــه شـــرعنا ، وليـــس فيه ما يؤيده أو يفنده – ما رواه ابـــن كثـــير عـــن الســـدى عنـــد تفسيره لقوله تعالى : " وإذ قـــال موســـى لقومـــه إن الله يـــأمركم ان تذبحوا بقـــرة ..... " (٧٧)

---

٧٥) صحيح البخارى – كتاب الرقاق – باب : يقبض الأرض جـــ٨ صـــ١٣٥ ط الشعب ١٣٧٨هـــ ومعنى بدت نواجزه :ظهرت

٧٦) انظر تفسير الخازن جـــ٤ صـــ٣٠٧ فما بعده ط مصطفى الحلبى الثانية ١٩٥٥م

٧٧)الآية ٦٧ وما بعدها إلى آخر القصة من سورة البقرة

ونص هذا الأثر : كان رجل من بنى إسرائيل كثير المال ، فكانت له ابنة ، كان لـه ابن أخ محتاج فخطب إليه ابن أخيه ابنته ، فأبى أن يزوجه ، فغضب الفتى وقال : والله لأقتلن عمى ، ولآخذن ماله ، ولأنكحن ابنته ، ولآكلن ديته ، فأتاه الفتى ، وقد قدم تجار فى بعض أسباط بنى إسرائيل ، فقال : يا عم انطلق معى فخذلى من تجارة هؤلاء القوم ، لعلى أن أصيب منها ، فإنهم إذا رأوك معى أعطونى ، فخرج العم مع الفتى ليلاً ، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط ، قتله الفتى ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح الصباح جاء كأنه يطلب عمه ، كأنه لا يدرى أين هو ؟ قتلتم عمى ، فأدوا إلىّ دينه ، فجعل يبكى ويحثو التراب على رأسه ، وينادى وا عماه ، فرفعهم إلى موسى ، فقضى عليهم بالدية فقالوا له : يا رسول الله ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه ، فيؤخذ صاحب القضية ، فوالله إن دينه علينا لهينة ، ولكن نستحى أن نعيّر به ، فبذلك حين يقول الله تعالى " وإذ قتلتم نفسا فادارئتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون " (٧٨) أ هـ

---

٧٨) تفسير ابن كثير جـ١ صـ١٠٩ ط عيس الحلبى .

ثالثا : وتنقسم الإسرائيليات باعتبار موضوع الخبر الإسرائيلى إلى أقسام ثلاثة :

١- ما يتعلق بالعقائد

٢- ما يتعلق بالأحكام .

٣- ما يتعلق بالحوادث التى لا صلة لها بالعقائد والأحكام الشرعية ، وتسمى أيضا " بالمواعظ "

فمثال الأول : وهو ما يتعلق بالعقائد : مار رواه البخارى فى كتاب التفسير " (٧٩) حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن منصور عن إبراهيم ، عن عبيدة عن عبد الله – رضى الله عنه – قال : " جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنا نجد أن يجعل السموات على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع ، فيقول : أنا الملك ، فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجزه تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ

---

٧٩) صحيح البخارى جـ٦ صت١٥٧ ط الشعب – كتاب التفسير – باب قوله تعالى " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ... "

رسول الله ﷺ " ومـــا قـــدروا الله حـــق قـــدره ، والأرض جميعـــا قبضته يوم القيامة والسموات مطويـــــات بيمينـــه .... " (٨٠)

ومثال الثانى : وهو مـــا يتعلـــق بالأحكـــام : مـــا رواه البخارى أيضاً فى كتاب التفسير ، ونصـــه " حدثنـــا إبراهيـــم بـــن المنذر ، حدثنا أبو ضمرة ، حدثنا موســـى ، عـــن عقبـــة ، عـــن نافع عن عبد الله بن عمـــر – رضـــى الله عنـــهما – أن اليـــهود جاءوا إلى النبى ﷺ برجل منهم وامـــرأة قـــد زنيـــا فقـــال لـــهم : كيف تفعلون بمن زنى منكـــم قـــالوا : نحممـــهما (٨١) ونضربـــهما فقال : لا تجدون فى التوراة الرجـــم قـــالوا لا نجـــد شـــيئا فيـــها فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتـــم فـــأتوا بـــالتوراة فاتلوهـــا إن كنتم صادقين فوضع مدارسها الـــذى كـــان يدرســـها منـــهم كفـــه على آية الرجم فنزع كفه عن آية الرجـــم فقـــال مـــا هـــذه فلمـــا رأوا ذلك قالوا هى آية الرجم فأمر بها فرجـــم قريبـــاً مـــن حيـــث

---

(٨٠) الآية ٦٧ من سورة الزمر

(٨١) نحممهما : قيل معناه : تسكب عليهما الحميم وهو الماء الحار . وقيل معناه : تسود وجوههما

موضع الجنائز قال فرأيت صاحبها يجنئ عليها [٨٢] يقيها الحجارة [٨٣] .

ومثال الثالث وهو ما يتعلق بالمواعظ والحوادث التى لا تمت إلى العقائد والأحكام بصلة وما أورده ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى : " واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون " [٨٤] ونص هذا الأثر (وذكر محمد بن اسحق عن التوراة : أن الله أمره يعين نوحا عليه السلام أن يصنعها اى السفينة من خشب الساج و أن يجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وأن يطلى باطنها وظاهرها بالقار وأن يجعل لها جؤجؤ ازور يشق الماء [٨٥] أ هـ

(وبعد) فهذه أقسام الإسرائيليات بالنسبة لكل اعتبار من الاعتبارات المذكورة وواضح أنها متداخلة ، ويمكن إرجاع بعضها إلى بعض كما يمكن أن ندخلها تحت الأقسام الثلاثة الآتية حيث أنها لا تخرج عنها : مقبول – مردود – متردد بين القبول والرد ، وكل له فى باب الرواية حكم نوضحه فيما يلى :

---

[٨٢] يجنئ : معناه يميل عليها وجاء فى بعض الروايات يحمى بالحاء المهملة والمعنى واحد

[٨٣] صحيح البخارى جـ٦ صـ٤٦،٤٧ ط الشعب كتاب التفسير باب قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين (

[٨٤] الآية ٣٧ من سورة هود عليه السلام

[٨٥] تفسير ابن كثير جـ٢ صت٤٤٤ ط عيسى الحلبى

ثانيا حكم رواية الإسرائيليات

قبل أن نتكلم عن حكم رواية الإسرائيليات يحسن أن نمهد لذلك بذكر أهم ما ورد من النصوص الشرعية وما يلحق بها من المأثورات عن الصحابة فى شان روايتها .... نبدأ بأدلة المنع ، ثم بأدلة الإباحة ، ثم نوفق بينهما بما يدفع تعارضهما ويوضح أمامنا الرؤية لمعرفة كلمة الحق فى حكم روايتها

أولا أدلة المنع

١-ما جاء فى القرآن الكريم من الآيات الدالة على أن اليهود والنصارى بدلوا كتبهم وحرفوها وأخفوا الكثير منها مما أذهب الثقة وفيما يحدثون به منها وبديهى أن ما لا يوثق به لا تجوز روايته وهنا نسوق بعض الآيات الدالة على ذلك قال تعالى : " ومن الذين هادوا سماعون للكذب ، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ... " (٨٦) وقوله " وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونها قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا

---

٨٦) الآية ٤١ من سورة المائدة

" [٨٧] وقوله " ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون " [٨٨] وقوله عز من قائل " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير وقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين " [٨٩]

٢- ما رواه البخارى فى صحيحه قال حدثنا محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر اخبرنا على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ... [٩٠] ومعنى هذا عدم الثقة بما يحدث به أهل الكتاب عن التوراة وكذا عن غيرها من باب أولى وما لا يوثق به لا تجوز روايته .

---

٨٧)الآية ٩١ من سورة الأنعام

٨٨) الآية ١٤ من سورة المائدة

٨٩)الآية ١٥ من سورة المائدة

٩٠)صحيح البخارى جـ٦ صـ٢٥ ط الشعب ١٣٧٨ هـ كتاب التفسير -باب : قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا

٣-ما أخرجه الإمام أحمد وابن أبى شيبة والبزاز من حديث جابر ، أن عمر بن الخطاب أتى النبى ﷺ بكتاب أصاب من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب فقال أمتهوكون [٩١] فيها يابن الخطاب والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية - لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق ، فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذى نفسى بيده ، لو أن موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى " [٩٢] أ هـ

٤- ما رواه البخارى فى صحيحه قال : حدثنا بن كثير ، حدثنا عن يونس عن ابن شهاب ،عن عبيد بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : " يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذى انزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث[٩٣] الأخبار بالله ، تقرءونه لم يشب[٩٤]، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله ، وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتكم؟ ولا والله ما رأينا رجلاً يسألكم عن

---

٩١) المتهوك : المتحير الشاك

٩٢) مسند الإمام أحمد جـ٣ صـ٣٨٧ ط الميمنية ١٣١٣ هـ .

٩٣) أحدث : أحر الكتب السماوية نزولا من عند الله

٩٤) لم يشب : لم يخلط بغيره ، لأنه محفوظ من الزيادة والتبديل

العلم عن مساءلتكم؟ ولا والله ما رأينا رجلاً يسألكم عن الذى أنـــزل عليكم " [٩٥] اهـ

٥-ما أخرجه عبد الرازق فى مسنده من طريق حريث بن ظهير قال : عبد الله يعنى ابن مسعود لا تسألوا أهل الكتاب ، فإنهم لن يهدوكم ،وقد أضلوا أنفسهم فتكذبوا بحق ، أو تصدقوا بباطل " وأخرجه سفيان الثورى من هذا الكتاب عن شئ ، فإنهم لن يهدوكم ، وقد ضلوا ، أن تكذبوا بحق ، أو تصدقوا بباطل ، وسنده حسن [٩٦]

ثانياً : أدلة الجـــواز :

١ ــ ما وجد فى القرآن مـــن الآيـــات الدالـــة علـــى جـــواز الرجوع إلى أهل الكتاب وسؤالهم عما فـــى أيديـــهم ، فمـــن ذلـــك قوله تعالى مخاطباً نبيه محمـــداً صلـــى الله عليـــه وســـلم " فـــإن كنت فى شك مما أنزلنـــا فأســـأل الذيـــن يقـــرءون الكتـــاب مـــن قبلك..." [٩٧] فقد أباح الله لنبيه أن يســـأل أهـــل الكتـــاب ، وكذلـــك أباح لأمته أن يسألوهم لما هو مقـــرر شـــرعاً ، مـــن أن أمـــر الله

---

٩٥) صحيح البخارى جـــ٣ صـــ٢٣٧ ط الشعب كتاب الشهادات

٩٦) فتح البارى جـــ١٧ صـــ١٠٠ ط مصطفى الحلى

٩٧) الآية ٩٤ من سورة يونس عليه السلام

لنبيه صلى الله عليه وسلم أمر لأمته كذلك ،ما لم يقم دليل على الخصوصية ،والأمر هنا للإباحة كما هو ظاهر .

وقوله تعالى :﴿ ويقول الذين كفروا لست مرسلاً ، قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾[٩٨]والمراد بمن عنده علم الكتاب على ما هو الراجح من أقوال المفسرين عبد الله بن سلام ، أو من كان عالماً بالتوراة والإنجيل من أهل الكتاب وفي ذلك إباحة الرجوع إليهم .

٢ ــ ما رواه البخارى فى صحيحة قال : أبو عاصم الضحاك ، أخبرنا الأوزاعى ، حدثنا حسان بن عطية ، عن أبى كبشة السلولى ، عن عبد الله بن عمرو ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " [٩٩]

---

٩٨)الآية ٤٣ آخر سورة الرعد

٩٩)صحيح البخارى جـ٤ صـ٢٠٧ ط الشعب ١٣٧٨هـ كتاب أحاديث الأنبياء : ما ذكر عن بنى إسرائيل .

٣ــ ما ثبت من أن النبى صلى الله عليه وسلم استمع لبعض اليهود وهم يتلون التوراة ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : إن الله عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة ، فدخل الكنيسة ، فإذا يهودى يقرأ عليهم التوراة ،فلما أتوا على صفة النبى صلى الله عليه وسلم وفى ناحيتها رجل مريض أمسكوا فقال النبى ﷺ ما لكم أمسكتم فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبى فأمسكوا ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبى ﷺوأمته ، فقال : هذه صفتك وصفة أمتك ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وإنك رسول الله " [١٠٠] أهـ

٤ــ ما ثبت من رجوع بعض الصحابة رضوان الله عليهم إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب يسألونهم عن بعض ما جاء فى كتبهم ، كأبى هريرة وابن عباس ، وابن مسعود وغيرهم ، وما ثبت من أن عبد الله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما "[١٠١]

---

١٠٠)مسند الإمام أحمد جـ١ صـ٤١٦ ط الميمنية بمصر ١٣١٣هـ .

١٠١) انظر فى مقدمة ابن تيميه فى اصول التفسير صـ٢٦ ط الترقى بدمشق ١٩٣٦م

هذا بعض ما ورد مشيراً إلى أدلة الجواز فى الرواية أهل الكتاب وقد سبق من الأدلة ما يشير إلى المنع من الرواية عن أهل الكتاب، وإذا تبين هذا فكيف نوفق بين أدلة المانعين وأدلة المجيزين ؟ والتوفيق بين ما سقناه من أدلة ظاهرة المنع الرواية عن أهل الكتاب ، وأدلة أخرى ظاهرها الإباحة نقول :

١ــ إن دين الإسلام دين معرفة واسعة ، ومعارفه ليست مقصورة على ما يدور فى فلك المسلمين وحدهم من تشريعات خاصة ، وأحدث تتصل بتاريخ حياتهم وجها وهم الطويل ، وإنما الأمر يتعدى ذلك إلى معرفة ما كان فى الأمم السالفة والديانات السابقة ، تأخذ منها الحق لتؤيد به حقها ، وتترك الباطل الذى لا يتفق وهديها وإذا نظرنا فى القرآن الكريم ، وجدنا من آياته البينات ، ما يدعو بنى الإسلام والمسلمين إلى أن يرجعون إلى علماء أهل الكتاب ليسألوهم عن بعض الحقائق التى جاءت فى كتبهم ، وجاء بها الإسلام ، فأنكروها وأغفلوها ، ليقيم عليهم الحجة ، ولعلهم

يهتدون . فمن ذلك قوله تعالى " فإن كنت فـــى شـــك ممـــا أنزلنـــا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتـــاب مـــن قبلـــك .....".[١٠٢]

وقولة :وما أرســـلنا قبلـــك إلا رجـــالا نوحـــى إليـــهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون "[١٠٣] وقولـــه" ســـل بنـــى إسرائيل كم آتيناكم من آية بينـــه"[١٠٤]

٢ــ قص علينا القرآن كثـــيراً عـــن اخبـــار بنـــى إســـرائيل وغيرهم من الأمـــم الســـابقة ، ومـــن ذلـــك : قصـــة قتيـــل بنـــى إسرائيل الواردة فى قوله تعـــالى " وإذا قـــال موســـى لقومـــه إن الله يأمركم أن تذبحـــوا بقـــرة ــ إلـــى قولـــه : فقلنـــا اضربـــوه ببعضـــها كذلـــك يحيـــى الله اموتـــى ويريكـــم آياتـــــه لعلكـــم تعقلـــون"[١٠٥].

وقصة المائدة فى قولـــه تعـــالى: " إذ قـــال الحواريـــون يـــا عيسى بن مريم هل يستطيع ربـــك أن يـــنزل علينـــا مـــائدة مـــن السماء ــ إلى قوله : قال الله إنى منزلـــها عليكـــم ، فمـــن يكفـــر

---

١٠٢) الآية ٩٤ من سورة يونس.

١٠٣) الآية : ٧ من سورة الأنبياء

١٠٤) الآية ٢١١ من سورة البقرة

١٠٥) الآيات من ٦٧ إلى ٧٣ من سورة البقرة

بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحد من العالمين[١٠٦] وغير ذلك كثير كذلك قص رسول الله صلى الله عليه وسلم – كثيراً من أخبار بنى إسرائيل ، فمن ذلك : حديث الأبرص والأعمى والأقرع عند البخارى عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن ثلاثة [١٠٧] من بنى إسرائيل : أبرص وأعمى وأقرع بد الله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً ...إلى آخر القصة التى يطول ذكرها .

ومن ذلك أيضاً : قصة جريج العابد عند البخارى ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى ، وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلى ، فجاءته أمه فدعته ، فقال: أجيبها أو أصلى ؟ فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات ..... إلى آخر الحديث [١٠٨] كل ما تقدم من أم الله لنبيه – عليه الصلاة والسلام – بسؤال أهل الكتاب يدل على جواز

---

١٠٦) الآيات من ١١٢ إلى ١١٥ من سورة المائدة .

١٠٧) صحيح البخارى جـ٤ صـ٢٠٨ ، ٢٠٩ ط الشعب ١٣٧٨ ه كتاب أحاديث الأنبياء –باب ما ذكر عن بنى إسرائيل .

١٠٨) صحيح البخارى جـ ٤ صـ٢٠١ ، ٢٠٢ ط الشعب ١٣٧٨ هـ باب واذكر فى الكتاب مريم .

الرجوع إليهم ، ولكن لا فى كل شئ ، بل فيما لم تصل له يد التحريف والتبديل من الحقائق التى تصدق القرآن وتلزم المعاندين منهم ، ومن غيرهم الحجة ، كما كان من شأنه – ﷺ حينما أرادوا أن يخفوا عنه ما فى التوراة من رجم الزانى المحصن .

وكل ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، من قصص عن أهل الكتاب وعن غيرهم من الغابرين ، لم يكن إلا حقا وصدقا ، ووحيا ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم هو بعد ذلك ذكر عبرة وعظة لسامعيه كما أخبر المولى فى محكم كتابه بقوله : ﴿ لقد كان فى قصصهم عبره لأولى الألباب ، ما كان حديثاً يفترى، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفضيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾[١٠٩]

٤ــ ما فى كتب أهل الكتاب بعد تحريفها وتبديلها ، وما يحدث به علماؤهم وهم يخطئون ويصيبون ، ويكذبون ويصدقون ــ لا يمكن أن يخدع به النبى صلى الله عليه وسلم وإنما يمكن أن يخدع به غيره من جماعة المسلمين ، فلهذا

---

١٠٩) الآية ١١١ والأخيرة من سورة يوسف عليه السلام .

لا يجوز لمسلم أن يقبل ما يحدث به أهل الكتاب على إطلاقه ، ولا أن يرده على إطلاقه ، بل يقبل منه ما جاء موافقاً للقرآن والسنة ، لأن هذه الموافقة ،دليل على أنه سالم من التحريف والتبديل ولا يقبل منه ما جاء مخالف لما فى القرآن والسنة ، أو كان لا يتفق مع العقل .

وعلى هذا فما جاء موافقا لما فى شرعنا ، تجوز روايته ، وعليه تحمل الآيات الدالة على إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب ، وعليه أيضا يحمل قوله . عليه الصلاة والسلام . " حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج " إذ المعنى : حدثوا عنهم بما تعلمون صدقه .

وأما ما جاء مخالفا لما فى شرعنا فلا تجوز روايته ، لأن إباحة الله ورسوله ، الرجوع إلى أهل الكتاب للحديث عنهم ، لا تتناول ما كان كذبا ، إذ لا يعقل أن يبيح الله أو رسوله رواية المكذوب أبدا ،

وأما ما سكت عنه شرعنا ، ولم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا بكذبه ، وكان محتملا ، فحكمه أن نتوقف فى قبوله ، فلا نصدقه ولا نكذبه ، وعلى هذا يحمل قول النبى

ﷺ " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " أمـــا روايتـــه فجـــائزة على أنها مجرد حكاية لمـــا عندهـــم ، لأنـــها تدخـــل فـــى عمـــوم الإباحة المفهومة من قوله – عليه الصـــلاة والســـلام : " حدثـــوا عن بنى إسرائيل ولا حـــرج "

٥-ما ثبت من أن بعـــض الصحابـــة كـــأبى هريـــرة وابـــن عباس ، كانوا يرجعون إلى بعض من أســـلم مـــن أهـــل الكتـــاب ، يسألونهم عما فـــى كتبـــهم ، ومـــا روى مـــن أن عبـــد الله بـــن عمرو بن العاص ، أصاب يوم اليرموك زاملتين مـــن كتـــب أهـــل الكتاب فكان يحدث منهما ، لا يعـــارض مـــا رواه البخـــارى عـــن ابن عبـــاس – من إنكاره علـــى مـــن يســـألون أهـــل الكتـــاب بقوله : " كيف تسألون أهل الكتـــاب عـــن شـــئ وكتـــابكم الـــذى أنزل الله على نبيه أحـــدث الأخبـــار بـــالله ،... الـــخ ولا مـــا رواه عبد الرازق فى مسنده عن ابن مسعود عـــن نهيـــه عـــن ســـؤال أهل الكتاب بقوله " لا تسألوا أهل الكتـــاب ، فإنـــهم لـــن يـــهدوكم وقد أضلوا أنفسهم .... الخ ولا ما رواه الإمام أحمـــد مـــن إنكـــار الرسول ﷺ على عمر رضى الله عنه لمـــا أتـــاه بكتـــاب أصابـــه من بعـــض أهل الكتـــاب بقولـــه : " أمتـــهوكون فيـــها يـــا بـــن الخطاب ؟..... الـــخ ، نعـــم : لا تعـــارض بيـــن هـــذا وذاك ، لأن

صحابة رسول الله ، كانوا أعرف الناس بأمور دينهم ، وكان لهم منهج سديد ، ومعيار دقيق فى قبول ما يلقى إليهم من الإسرائيليات فما وافق شرعنا صدقوه ، وما خالفه كذبوه ، وما سكت عنه توقفوا فيه ثم إنهم ما كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب فى كل شئ ، وإنما كان فى بعض الجزئيات للحوادث والأخبار ، ولم يعرف عنهم أنهم رجعوا إليهم فى العقائد والأحكام وإذا ثبت أنهم سألوا أهل الكتاب عن شئ من العقائد ، فما كان ذلك عن ارتياب منهم ، وإنما كان لإقامة الحجة عليهم .

أما إنكار الرسول ﷺ وإنكار الصحابة على من كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب ، فقد كان فى مبدأ الإسلام ، وقبل استقرار الأحكام ، مخافة التشويش فى عقائدهم وأفكارهم ، ومن هنا يقول الحافظ ابن حجر مجليا هذا الموقف : " وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية أو القواعد الدينية ، خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور ، وقع الإذن فى ذلك ، لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار " (١١٠) أ هـ

---

١١٠) فتح البارى جـ٧ صـ٣٠٩ ط مصطفى الحلبى ١٩٥٩ م

مقالة ابن تيمية فى هذا الموضـــوع :

يقول ابن تيمية فى مقدمته فى أصـــول التفسـير ، بعـد أن ذكر أن عبد الله بن عمرو بـــن العـاص أصـاب يـوم الـيرموك زاملتين من كتب أهل الكتـاب ، فكان يحدث منـــهما بمـا فهمـه من حديث " بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عـــن بنـى إسـرائيل و لا حرج " من الإذن فى روايتها يقـــول بعـد ذلـك مـا نصـه : " ولـــكن هـذه الأحـاديث الإسـرائيلية تذكـر للاستشـــهاد ، لا للاعتقاد ، فإنها على ثلاثة أقســـام :

أحدهما : ما علمنا مما بأيدينـــا ممـا يشـهد لـه بـالصدق فذاك صحيـح .

الثانى : ما علمنـــا كذبـه بمـا عندنـا ممـا يخالفـه ..... كذبناه .

والثالث : ما هو مسكوت عنـــه ، لا مـن هـذا القبيـل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبـه ، وتجـوز حكايتـه لمـا تقدم . يعنى " حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حـــرج " وغـالب ذلـك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمـــر دينـى ، ولـهذا يختلـف علمـاء أهل الكتاب فى مثل هذا بكثير ، ويأتى عـــن المفسـرين خـلاف

بسبب ذلك . كما يذكرون فى مثل هـذا : أسماء أصحاب أهل الكهف ، ولون كلبتهم ، وعدتهم ، وعصا موسى من أى الشجر كانت ، وأسماء الطيور التى أحياها الله لإبراهيم ، وتعيين البعض الذى ضرب به المقتول من البقرة ، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى وغير ذلك مما أبهمه الله فى القرآن ، مما لا فائدة من تعيينه تعود على المكلفين فى دنياهم ولا دينهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز كما قال تعلى ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل . فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ﴾ (١١١) فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام ، وتسليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ، ضعف القولين الأولين ، وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، إذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ، ثم أرشد إلى أن الإطلاع على عدتهم لا طائل تحته ، فيقال فى مثل هذا " قل ربى أعلم بعدتهم " فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن

---

١١١) الآية : ٢٢ من سورة الكهف .

أطنعه الله عليه ، فلهذا قال : " فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا " أى : لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك ، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب ، فهذا أحسن ما يكون فى حكاية الخلاف ، أن تستوعب الأقوال على ذلك المقام ، وأن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا طائل تحته ، فيشتغل به عن الأهم . فأما من حكى خلافا فى مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب فى الذى تركه ، ومنه يحكى الخلاف ويطلقه ، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً ، فإن صح غير الصحيح عامدا فقد تعمد الكذب ، أو جاهلا فقد أخطأ . كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالا متعددة لفظا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى ، فقد ضيع الزمان وأكثر مما ليس بصحيح ، فهو كلابس ثوبى زور ، والله الموفق للصواب " [١١٢] أ هـ

---

١١٢) مقدمة ابن تيمية فى أصول التفسير صـ٢٦-٢٨ ط الترقى بدمشق ١٩٣٦م .

وخلاصة القول فى هذا ، تتلخص فـــى الآتـــى :

١- ما جاء موافقا لما فى شـــرعنا صدقنـــاه وجـــازت روايتـــه .

٢- ما جاء مخالفا لما فـــى شـــرعنا كذبنـــاه وحرمـــت روايته إلا لبيان بطلانـــه .

٣- ما سكت عنه شرعنا توقفنـــا فيـــه ، فـــلا نحكـــم عليه بصدق ولا بكذب وتجـــوز روايتـــه ، لأن غـــالب مـــا يروى من ذلك راجـــع إلـــى القصـــص والأخبـــار لا إلـــى العقائد والأحكـــام .

خامسا : أثر الإسرائيليات فى كتب التفسير وموقف المفسرين منها

ولقد كان لهذه الإسرائيليات التى أخذها المفسرون عن أهل الكتاب ، وشرحوا بها كتاب الله أثر سئ فى التفسير ، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه فى عهد الصحابة ، بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم ، إن صدقا وإن كذبا ، بل ودخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالى المخترع ، مما جعل الناظر فى كتب التفسير التى هذا شأنها ، يكاد لا يقبل شيئا مما جاء فيها ، لاعتقاده أن الكل من واد واحد .

والحق أن المكثرين من هذه الإسرائيليات ، وضعوا الشوك فى طريق المشتغلين بالتفسير ، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب ، وأخبار لا تصح ، كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التى لا يكاد يصح شئ منها إلى بعض من آمن من أهل الكتاب ، جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة .

أما عن موقف المفسرين من رواية الإسرائيليات في كتبهم فنقول الآتي :

١-منها كتب تعرض للإسرائيليات ، فيذكر منها مؤلفوها كل ما عندهم منها ، مقبولا كان أم غير مقبول ، ولكنهم يسندون من ذلك إلى رواته إسنادا تاما تاركين لقارئيها – غالبا – مهمة نقدها ، عملا بالقاعدة المقررة لدى علماء الحديث " من أسند لك فقد حملك " مثل تفسير " محمد بن جرير الطبرى ، المسمى " جامع البيان فى تفسير القرآن "

٢-ومنها كتب تعرض للإسرائيليات ، فترويها بأسانيدها ، ولكن لا يكتفى أصحاب هذه الكتب بذكر الأسانيد ، خروجا من العهدة بل إنهم يعقبون عليها ببيان ما فيها من أباطيل إلا نادرا ، مثل تفسير " الحافظ بن كثير " المسمى بتفسير القرآن العظيم

ومنها كتب تذكر كل شاردة وواردة ، ولا تسند شيئا من ذلك ، ولا تعقب عليه بنقد ، وبيان ما فيه من حق وباطل مثل : تفسير " مقاتل بن سليمان " [١١٣]

٣-ومنها كتب تذكر الإسرائيليات ، ولا تسندها ، ولكنها أحيانا تشير إلى ضعفها ، وأحيانا تصرح بعدم صحتها ، وأحيانا تروى دون أن تفنده ولا بكلمة واحدة رغم فساده ، ومخالفته للقواعد الشرعية ، مثل التفسير الخازن ، المسمى : " الباب التأويل فى معانى التنزيل .

٤-ومنها كتب تذكر الإسرائيليات ولا تسندها ، وهى حين تذكرها لا تقصد إلا بيان ما فيها من زيف أو باطل ، ونادر جدا أن تذكر شيئا من ذلك ولا تعقب عليه مثل : تفسير " الألوسى " المسمى " روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم ، والسبع المثانى "

---

[١١٣]) حقق تفسير مقاتل الأستاذ الدكتور / عبد الله شحاته ، ونال به درجة العالمية – الدكتوراة – من كلية دار العلوم (

هذا نموذج لبعض الكتب وموقف أصحابها من رواية الإسرائيليات .

بعد هذا أذكر نموذجا لبعض الروايات الإسرائيلية فى كتب التفسير مع التعقيب عليها ثم أختم هذا البحث ، بالموفق السديد الذى يجب أن يسير عليه من يفسر كتاب الله تعالى :

أولا : نموذج لبعض الروايات الإسرائيلية فى بعض كتب التفسير التى أشرنا إليها .

ومن الإسرائيليات ما يذكره ابن جرير الطبرى عند تفسير قوله تعالى : " الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب " [١١٤] ذكر ابن جرير بسنده عن وهب ، قال : إن فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، ترابها كافور ، ووحلها مسك .... يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل ، وهى مجلس لأهل الجنة فبينما هم فى مجالسهم ، إذ أتتهم الملائكة من ربهم ، يقودون نجيبا [١١٥] ، مزمومة بسلاسل من ذهب ، وجوهها كالمصابيح حسنا ، ودبرها كخز

---

١١٤) الآية ٢٩ من سورة الرعد

١١٥) نجيبا : أى : إبلا كراما

المرعزى من لينه عليها رحال ، [١١٦]ألواحها من ياقوت ، ودفونها من ذهب ، وثيابها من سندس وإستبرق ، فيفتحونها ، يقولون إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه ، قال : فيركبونها ، فهى أسرع من الطائر وأوطأ من الفراش .... الخ القصة [١١٧] وقد وصف ابن كثير فى تفسيره هذا الأثر : بأنه غريب عجيب وسياقه ، وقد روى هذا الأثر ابن أبى حاتم بسنده عن وهب أيضا ، وزاد زيادات أخرى [١١٨] أ هـ

تعليقنا على هذه الرواية :

لا ننكر احتمال أن تكون هذه الشجرة المذكورة فى الحديث الصحيح " إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، واقرءوا إن شئتم : " وظل ممدود " [١١٩] لكن الذى نستبعده ، ونقول إنه من الزيادات الإسرائيلية هى التى زادها وهب ، ومن أخذ عنه ، ونحن فى غنية بما ثبت فى الأحاديث

---

١١٦) الرحال : ما يوضع على البعير ليركب عليه

١١٧) تفسير ابن جرير جـ١٣ صـ٩٩ فما بعدها ط الأميرية الكبرى بولاق

١١٨) تفسير ابن كثير جـ٢ صـ٥١٤ ط عيسى الحلبى

١١٩) صحيح البخارى جـ٦ صـ١٨٣ ط الشعب –الآية ٣٠ من سورة الواقعة

الصحاح التى جاءت خالية من هذه التخريفات والتهويلات التى ننزه عنها الرواية الإسلامية .

والتفسير الذى تستريح إليه النفس لقوله " طوبى لهم " هو التفسير المأثور عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن " طوبى لهم " هو فرح لهم وقرة عين . وقال عكرمة : نعم ما لهم ، وقال قتادة حسنى لهم . وقال إبراهيم النخعى : خير لهم وكرامة . روى أيضاً عن بعض الصحابة وغير واجد من السلف ، أن " طوبى " شجرة فى الجنة ، بل ورد ذلك عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا ، " طوبى " شجرة فى الجنة ، ظلها مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها [١٢٠] بل قيل إنها الشجرة التى ذكرها النبى ﷺ فى قوله :إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها [١٢١]

وفى بعض روايات أحمد والبخارى واللفظ للبخارى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – يبلغ به النبى ﷺ قال : "

---

١٢٠) ابن كثير جـ٢ صـ٥١٤

١٢١) مسند الإمام أحمد جـ٣ صـ١٣٥ ط الميمنية ١٣١٣هـ

إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، واقرءوا إن شئتم " وظل ممدود " (١٢٢)

٢- الروايات فى ألواح التوراة : ومن الروايات ما ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى " وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ ... الآية " (١٢٣) ذكر عن وهب بن منبه : أن الله أمر بقطع الألواح من صخرة صماء لينها الله له فقطعها بيده ، ثم شققها بيده ، وسمع موسى صرير القلم ، بالكلمات العشر وكان ذلك فى أول يوم من ذى الحجة ، وكانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى " !! (١٢٤)

و هذا من الإسرائيليات التى التبس فيها الحق بالباطل ، وليس تفسير الآية متوقفا على ما ورد ، والذى يجب أن نؤمن به : أن الله أنزل الألواح على موسى ، وفيها التوراة ، أما هذه الألواح مما صنعت ، أو ما طولها وما عرضها ؟ وكيف كتبت ؟ فهذا لا

---

١٢٢) صحيح البخارى جـ٦ صـ ١٨٣ ط الشعب - كتاب التفسير الآية ٣٠ من سورة الواقعة .

١٢٣) الآية ١٤٥ الأعراف .

١٢٤) تفسير الخازن جـ٢ صـ٢٨٧ ط مصطفى الحلبى الثانى ١٣٩٧هـ

يجب علينا الإيمان به ، والأولى عدم البحث فيه ، لأن البحث فيه لا يؤدى إلى فائدة ولا يوصل إلى غاية .

كما ورد عن كعب الأحبار فى قوله تعالى السابق "وكتبنا لـــه فى الألواح من كل شئ .... قال كعب : مـــا مـــن الأرض شـــبر إلا مكتوب فى التوراة التى أنزل الله تعالى على موسى ، ما يكون منـــه ، وما يخرج منه إلى يوم القيامة .

ونقول هنا : إن هذا من المبالغات التى يبعدها العقـــل . فـــلا يعقل أن يكون فى التوراة كل أحـــداث الدنيـــا إلـــى يـــوم القيامـــة والمحققون من المفس،رين على أن المراد : أن فيها تفصيلا لكـــل شئ ، مما يحتاجون إليه فى الحلال والحرام ، والمحاسن والقبـــائح مما يلائم شريعة موسى وعصره ، وإلا فقد جـــاء القـــرآن الكريـــم بأحكام وآداب وأخلاق لا توجد فى التوراة قط . أ هـــ

وجاء فى بعض الروايات ما يشين كرامة الأنبيـــاء ويجعلـــهم عرضة للسخرية والاستهزاء ، وهذا ولا شك مما يســـتحيل عليـــهم كقصة أيوب – عليه السلام – وبلائه وما قيل فى هذا الشـــأن مـــن زيادات وافتراءات وقد ذكرت طرفا من ذلك فى هذا البحث وعقبـــت عليه عند موضعه فاقتصرت على ذلك خوفا من الإطالة .

والآن : أختم بحثى هذا بما وعدت به وهو :

المنهج السديد الذى يجب ان يسلكه المفسر لكتاب الله تعالى :

علمنا أن كثرة النقل عن أهل الكتاب بدون تفرقة بين الصحيح والعليل أدت إلى الإساءة بتفسير كتاب الله تعالى ، ووضعت الشوك فى طريق المشتغلين بالتفسير ، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح ، وأفقدت الثقة فى بعض من آمن من أهل الكتاب . وجعلت بعض الناس ينظرون إليهم بعين الريبة والاتهام لما نسب إليهم بعد هذا نستطيع أن نقول :

١-إنه يجب على المفسر أن يكون يقظا إلى أبعد حدود اليقظة ، وناقدا إلى غاية ما يصل إليه النقد من دقة وروية ، حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ، ما يناسب روح القرآن الكريم ويتفق مع النقل الصحيح والعقل السليم

٢-لا يجوز للمفسر أن يرتكب النقل عن أهل الكتاب ، إذا كان فى سنة نبينا ﷺ بيان لمجمل القرآن ، لأن السنة هى

المصدر الثانى للتشريع . من ذلك ما ورد فى قوله تعالى " ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب" (١٢٥) محمل فى السنة المطهرة ، وهى قصة ترك عبارة : إن شاء الله ، والمؤاخذة عليه ، فلا يلتفت إلى قصة صخر المارد ولا يصح أن تقحم على كتاب الله (١٢٦) وهذه القصة ذكرها البخارى بعيد عن الزيف والتضليل والافتراءات الكاذبة على أصفياء الله وأحبابه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال : رسول الله ﷺ قال سليمان بن داود – عليه السلام – لأطوفن الليلة على مائة امرأة (١٢٧) أو تسع وتسعين ، كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، فقال له صاحبه ، إن شاء الله ، فلم يل : إن شاء الله ، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، والذى نفسى بيده ، لو قال : إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون " (١٢٨) وقد بينت

---

١٢٥)الآية ٣٤٥ من سورة " ص "

١٢٦) انظر القصة عند ابن جرير وما ذكر فيها جـ٢٣ صـ١٠١ ط الأميرية ببولاق

١٢٧) هذا كان جائزا فى شريعتهم لا حصر للعدد فى الزوجات .

١٢٨) البخارى جـ٤ صـ٢٧ ط الشعب كتاب الجهاد – باب : من طلب الولد للجهاد